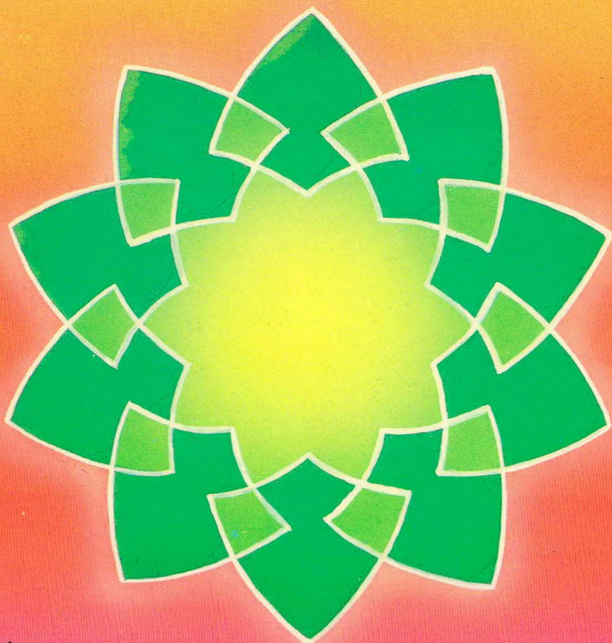
التربية المثالية

وظائف الوالدين والمعلمين



رضا فرهاديان

التربية المثالية

وظائف الوالدين والمعلمين



الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

مكتبة فخراوي: البحرين - المنامة

ت: ٢٣٢٨٨٤٩ - ٢٧٧٦٤٤

ص. ب. : ١٦٤٣

فاكس: ٥٥٢١٨٢

—

رضا فرهاديان

التربية المثالية

وظائف الوالدين والمعلمين

-٥-

ترجمة: ابراهيم الخزرجي



وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ

٢٢ / الرعد

دور العلاقات

في أول موقف من التربية

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[1]

القرآن الكريم

دور العلاقات في أول موقف من التربية

الدور العائلي

ان أحد الأُمور الضرورية التي ينبغي للأبوين والمعلمين الاهتمام بها في أمر التربية وتعليم الأخلاق للأطفال، هو ايجاد العلاقات الصحيحة مع أبنائهم فإن أول وأهم ما يمهّد أرضية نمو وتكامل الأحداث من الناحية الخلقية هو علاقات الابوين الصحيحة مع بعضهما، وعلاقتهما مع أبنائهما.

ان أهم ملاك يمكن على اساسه تقييم تربية الاطفال هو إقامة تلك العلاقات بين أفراد العائلة بعضهم مع بعض، وهذا هو الذي يُعبّر عنه اليوم بـ«بجهاز العلاقات» الذي تكون سلامة المجتمع على ضوئه رهينة سلامة تلك العلاقات العائلية، فإنه لا يمكن أن يكون المجتمع سليماً من دون تلك العلاقات الصحيحة في داخل البيوتات نفسها.

ما هو الجهاز؟

الجهاز عبارة عن اشتراك جماعة من الناس فيما بينهم من أجل تحقيق اهدافٍ ومنافع مشتركة، به تكون لهم هويةٌ واحدة، بنحوٍ لو تعرض هذا الجهاز لأدنىٰ خطرٍ بتعرّض أحد أو سائر افراده لضرر، لسرى ذلك الضرر الى الجهاز

---

(١) اسراء: ٧٠.

بجميع أفراده. وعلى ذلك، فإن أساس التربية الصحيحة للأحداث في المجتمع لابد أن يكون له ارتباطاً وثيقاً بسلامة العائلة، وهذه السلامة تقتضي وجود علاقات سليمة بين أفراد تلك العائلة.

ما هي العلاقات؟

العلاقات عبارة عن نوعٍ من المبادلة للمعلومات والأحاسيس، والمبادلة على وزن المفاعلة، وهي تقتضي وجود طرفين للتبادل، فالعلاقات إذاً هي أمر بين طرفين.

ما هي العلاقات السليمة؟

العلاقات السليمة هي بمعنى تبادل المعلومات والمشاعر بين طرفين، في ظلّ جوٍّ دافىء من التفاهم والانسجام، على أن تكون الأحاسيس المتبادلة قيّمة.

وبشكلٍ عام، فالعلاقات البشرية اما تكون قائمة على أساس «التكريم» أو «التحقير والإزدراء»[1].

---

(١) وعلى هذا الاساس لا يمكن ان تكون لحكام البلدان الاسلامية مع حكام الدول الاستعمارية علاقاتٍ طيبةٍ لعدم اعتقاد أولئك بالقيم والمبادىء الانسانية، ولم يراعوا الاحترام المتقابل في علاقاتهم مع الآخرين، فإن اولئك ينظرون بعين الازدراء للشعوب الاسلامية، وقد ورد في خطاب الحق تعالى في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم اولياء﴾، الممتحنة: ١، وفي قوله تعالى ﴿فأعرض عمّن تولى عن ذكرنا ولم يُرد إلّا الحياة الدنيا﴾، النجم: ٢٩.

إننا نتعامل مع كل انسان ونشكل معه علاقاتٍ حميدة، فإن وجدنا فيه عزّة نفسٍ وكرامةٍ حاولنا تقوية ذلك فيه، وان وجدناه فاقداً لهما حاولنا عدم تحقيره وتنقيصه، فإن العلاقات الصحيحة في نظر الاسلام هي العلاقات القائمة على أساس الاحترام والكرامة وعزة النفس لنا ولمن نتعامل معه من الناس.

أهم أداة في العلاقات:

ان واحدة من أهم السبل التي عن طريقها يتمكن الانسان أن يؤسس علاقاته على ضوئها هي المحاورة والكلام، فانهما اللذان يكشفان عن عواطف ومشاعر الانسان، وهما المسفران عن أهدافه وأغراضه ونيّاته، فإن الناس ـ في الحقيقة ـ مخبوؤن تحت ألسنتهم[١].

العلاقات عن طريق الحوار

جاء في آخر الاحصائيات أن ما يقرب من ٨٥٪ من العلاقات في مجتمعنا يتعلق بعلاقات الناس مع بعضهم عن طريق الحوار والسمع، وما يقرب من ١٥٪ يتعلق بالكتابة والقراءة، وعلى هذا الأساس، فإن للألفاظ والكلمات والجمل دور حيوي في نقل المفاهيم والمشاعر بين الناس، فللمعاني العبء الأكبر في نقل المعارف والمعلومات في العلاقة بين شخصين، وللألفاظ من الجانب العاطفي تأثير كبير في قلوب الناس.

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «المرء مخبوء تحت لسانه» نهج البلاغة، الحكمة رقم: ١٤٨.

ولا يخفىٰ ما للبيان ـ في المحاورة التي تتشكل على اساسها العلاقة ـ من أهمية عندما يصاغ في قوالب الالفاظ والكلمات، التي يتبادلها الجانبان في علاقاتهما، ومن أجل ذلك كان ثاني ما ذكره الله تعالى في كتابه ـ بعد خلق الانسان ـ من خصائص في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[1].

فالكلام أفضل وسيلة لتلك العلاقات بين الناس، وحيث ان رقعة العلاقات واسعة وتحتاج الى طرفين، كان القسم الاعظم من تلك العلاقات بين الناس جارياً عن طريق التكلّم والاستماع والمحاورة المتعارفة بينهم، ولذا ينبغي ان يكون الانسان متحدّثاً ومستمعاً جيداً، من أجل ان تكون العلاقات طيبةً وصحيحة، اي انه لا بد أن يكون عالماً بدور المحاورة في تبادل العواطف والمشاعر من الناحية النفسية، فيستعمل فيها الالفاظ والمعاني المناسبة للقيام بذلك الدور بنحوٍ أفضل، ولا يخفى ما لبعض الكلمات والمعاني من دورٍ بنّاءٍ في ايجاد علاقاتٍ وديّة وصداقةٍ حميمية[2]، ولابد أيضاً من معرفة وقت استعمال تلك الالفاظ والمعاني، اذ أن التفوّه بكلمةٍ طيبة أحياناً في وقتٍ وظرف غير مناسبين يعطي أثراً سلبياً[3]، ولذا لابد أن يأخذ الانسان وقت وألفاظ المحاورة بنظر الاعتبار ويكون دقيقاً في ذلك، لأن العلاقات القائمة في جوٍ يظلّه الود والاحترام المتبادل، والمعرفة في كيفية استعمال الالفاظ والمعاني المناسبة، تلعب دوراً كبيراً في توطيد تلك العلاقات ودوامها.

---

(١) الرحمن: ٣ و٤.

(٢) قد يكون لبعض الكلمات أثراً سلبياً يوجب كون العلاقات غير صحيحة.

(٣) قال امير المؤمنين عليه السلام: «زلّة اللسان أشد من جرح السنان» الغرر والدرر، للآمدي، ج٤ ص١١١.

والذي يؤسف له هو عدم اهتمامنا بما نستعمله من معانٍ والفاظ في محاوراتنا اليومية خصوصاً لو كان لنا دور التربية والتعليم، ومن أجل أن نتعرف على الدور الحساس والخطير لإستعمال الألفاظ وتقييمها، ومعرفة آثارها في الحياة، نستمع لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كلمةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرةٍ خَبيثةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[١].

والى قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[٢].

جو العلاقات

لابد من الالتفات الى ان للجو الذي تكون في ظلّه تلك العلاقات ـ اي أن للوضع الظاهري من قبيل: النظر، قسمات الوجه، والحركات ـ الأثر البالغ في ايجاد علاقات ـ صحيحة بين الناس، فإن لكلٍ من التبسّم، أو العبس[٣] في الوجه والاقباط، والغرور أو التواضع[٤]، الأثر الهام في توفير الجو الايجابي للعلاقات أو السلبي.

---

(١) ابراهيم: ٢٤ ـ ٢٦:

(٢) ﴿.. والعمل الصالح يرفعه ...﴾ فاطر: ١٠، والمصداق الاكمل للكلمة الطيبة هو العقائد الصحيحة ومنها التوحيد، وكل كلمة طيبة تبعث على السرور والأمل، وتحيي التقوى وتكون سبباً في تكامل الشخصية هي مصداق لقوله تعالى: ﴿كلمةً طيبةً﴾ وكل كلمة تسقط الكرامة وتخدشها وتهدم شخصية الانسان فهي مصداق لقوله تعالى: ﴿كلمةٍ خبيثةٍ﴾ ولذا قال النبي صلى الله عليه وآله: «خيركم من أطاب الكلام» بحار الانوار: ج ٧١، ص ٣٨٣.

(٣) قال تعالى: ﴿عبس وتولّىٰ أن جاءه الاعمىٰ وما يدريك لعلّه يزّكّىٰ﴾ عبس: ١ ـ ٣.

(٤) قال تعالى: ﴿ولا تصعّر خدّك للناس ولا تمشِ في الأرض فرحاً﴾ لقمان: ١٨.

جو العلاقات المعنوية

ونقرأ في ذلك جملة من آيات الذكر الحكيم:

قال تعالى: ﴿واخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين﴾[1].

﴿وإذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾[2].

﴿وإذا مرّوا باللّغو مرّوا كراماً﴾[3].

﴿وإذا ما غَضِبوا هم يغفرون﴾[4].

﴿وإذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحيُّوا بِأحْسَن مِنْها أوْ رُدُّوها﴾[5].

﴿إدْفَعْ بِالَّتي هِيَ أحْسَن فَإِذَا الَّذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأنَّهُ وَلِيٌّ حَميم﴾[6].

الاستماع الجيّد

وفيه آيتان كريمتان:

قوله تعالى: ﴿فبَشِّرْ عِبادِ الَّذينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[7].

---

(١) الشعراء: ٢١٥، وقال النبي صلّى الله عليه وآله: «الق أخاك بوجهٍ منبسط» الكافي: ج٢ ص١٠٣ وعنه صلى الله عليه وآله: «قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم» وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «البشاشة حبالة المودّة» بحار الأنوار: ج٦٩ ص٤٠٩.

(٢) الفرقان: ٦٣.

(٣) الفرقان: ٧٣.

(٤) الشورى: ٣٧.

(٥) النساء: ٨٦.

(٦) فصّلت: ٣٤.

(٧) الزمر: ١٧ ـ ١٨.

وقوله تعالى: ﴿...وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾[1].

أفضل الحديث (أُسلوب الحديث)

ان لطريقة واسلوب الحديث من الناحية النفسية ـ في تسخير العواطف ـ آثاراً صحيحةً ومتوخّاة، واخرى معاكسة لها على العلاقات، فإن الكلام إذا كان بصوتٍ عالٍ واسلوبٍ خشن، قد يهدد اطمئنان الانسان ويسلب راحته، فيترك آثاراً سلبيةً على الشخص المقابل حيث أن ذلك يُغضبه، وقد يسكّن الكلام الهادىء واللّين الغضب، ويُميت التوتر، ولذا أوصى بذلك القرآن الكريم من أجل ايجاد علاقات بنّاءة في جملةٍ من الآيات:

قال تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾[2].

﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[3].

﴿ولتعرفنّهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم﴾[4].

﴿يا صَاحِبَيِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[5].

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[6].

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[7].

---

(١) التوبة: ٦١.

(٢) لقمان: ١٩.

(٣) طه: ٤٤.

(٤) محمد صلى الله عليه وآله: ٣٠.

(٥) يوسف: ٣٩.

(٦) البقرة: ٨٣.

(٧) الاسراء: ٥٣.

قول بالمعروف

وفيه آيات بيّنات: قال تعالى: ﴿وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾[1].

﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾[2].

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أذى واللهُ غَنِيٌّ حَلِيْم﴾[3].

﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾[4].

في مناهي الحديث

قال تعالى: ﴿لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾[5].

﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُم﴾[6].

﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَاب﴾[7].

علاقات الأبوين مع بعضهما

ان العلاقات العائلية في المجتمعات الصناعية في العصر الحاضر مصيرها الى الإنهيار، ولوكانت هناك علاقات فهي في اكثر الحالات علاقات ترتبط بالعمل فقط، وليست علاقات عاطفية وقلبية، وقد سرى ذلك تدريجياً الى سائر المجتمعات بسبب نفوذ الثقافة الغربية اليها، بنحوٍ آل أمر العلاقات

---

(١) الأحزاب: ٧٠.

(٢) النساء: ٥.

(٣) البقرة: ٢٦٣.

(٤) الاسراء: ٢٣.

(٥-٧) الحجرات: ١١.

العائلية في المدن الكبيرة من مجتمعنا الى نوعٍ من الانحلال، وصار الحوار فيها من جانبٍ واحد، حيث يلاقي الانسان في تفاهمه مع الآخرين صعوباتٍ شتىٰ، اذ أن الأب والام وسائر افراد العائلة كل واحد منهم مشغول بعمله، فصارت فرص المجالس العائلية قليلةً جداً، هذا ومن جهة اخرى فإن التلفزيون في برامجه المتنوعة له الاثر الخطير في الحدّ من العلاقات بين افراد العائلة، إذ حتى لو تهيأت فرصة ـ ولو يسيرة في مناسباتٍ معيّنة ـ لأفراد العائلة فالعلاقات فيها تكون ناقصة، لعدم إدراك بعضهم أحاسيس ومشاعر البعض الآخر، ولذا تكون علاقاتهم من جانبٍ واحد، فتصاب علاقات الام والأب بنوعٍ من التوتر العاطفي، فهم في الظاهر معاً، إلّا أن اكثر تلك العلاقات تتجاوز كونها علاقات سطحية، قبل أن تكون علاقات عاطفية وودّية، إذ أن كل واحد من الأبوين غارق الى أُم رأسه في مشاكله، ويحاول التخلص منها بأي نحوٍ كان. فالآباء في أعمالهم اليومية يواجهون مختلف الضغوط النفسية، وعندما يحصلون على فرصة لاستراحتهم ويعودوا الى منازلهم، تراهم قليلاً ما يتكلّمون أو يستمعون لحديث الآخرين، وإذا أرادوا شيئاً يستعينوا بجملٍ مقطّعةٍ وناقصة، أو كلمات مفردة، كقولهم مثلاً: طعام، أي اجلبوا لنا الطعام، أو شاي وفي هذه الاثناء، ترىٰ الزوجة تنتظر زوجها يعود لتتحدث معه، واذا بها تواجه المزاج الحاد لزوجها، فتضطر الى أن تخبىء حديثها في صدرها، وقد لا تتمكن من التعبير عن مشاعرها ورغباتها التي تريد تحقيقها وان كانت قليلة المؤونة.

ان الزوج وبعد كل هذه المشاكل وضغوط الحياة ليس له رغبة استماع حديث الطرف المقابل، هذا ومن جهةٍ اخرى فإن الزوجة تريد عن طريق الكلام التعبير عن مشاعرها، لعل زوجها بسماع ذلك يداوي جرحها، ويخفف عن آلامها وهمومها، ويدخل على قلبها السرور ويحيي فيه الأمل، لكن وللأسف فان زوجها ليس له ذلك الاستعداد لقبول مثل هذا الكلام، وعدم رغبة كل واحد منهما لاستماع حديث الآخر يكون سبباً في عدم الانسجام والتفاهم، مما يجر الامر الى الاختلاف في نهاية المطاف، وقد يؤدي ذلك الى مجادلة لفظية حادة بينهما، ومثل هذه التشنّجات تؤدي الى بروز خلل كبير من الناحية النفسية يضرّ بشبكة العلاقة العائلية، وهذه المشكلة سيّالة، حيث تنتقل مضارها الى الأبناء ايضاً، وتخلّف آثار سوءٍ على علاقاتهم وسلوكهم في المستقبل.

وحسب نتائج التحقيقات في هذا المجال، اتضح أن مثل هذه العوائل تكون ساخطةً على حياتها، ويكون سلوكها الخاطىء سبباً في بروز امراض جسميةٍ مختلفة، وعقد نفسيةٍ، واضطرابات اخرى تحدّ من الصحة النفسية، حيث يكون أبناء الكثير من هذه العوائل فاقدي الثقة بالنفس، إذ أنهم يحاولون ـ التعويض عن شعورهم بالعزلة، وعدم المسؤولية ـ اسناد فشلهم في أعمالهم الى الآخرين، وهؤلاء دائماً هم من المتخلّفين علمياً ومن الفاشلين، خلافاً لأبناء العوائل التي يحكمها التفاهم والانسجام بين الأبوين، حيث يتمكن ابناؤها من اغتنام الفرص في تبادل المشاعر والعواطف والمعلومات فيما بينهم، مما يؤدي ذلك الى تثبيت المودة والانسجام بين افراد العائلة، ويمهّد ارضية نجاح أبنائهم من الناحية الاخلاقية والدراسية.

﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُم﴾[1].

قرآن كريم

تأثير الألفاظ النفسي والعاطفي

قد يكون لبعض الالفاظ أحياناً في العلاقة بين شخصين دور بنّاء أو معاكس، كما لبعض الالفاظ التي تجرح القلب وتؤثر في النفس، وتؤدي الى الشقاق والفرقة ذلك، وهي أحياناً تكون اشد من ضرب السيوف[2]، تتآكل بها نفس الانسان كما يتآكل بالإرضة الخشب، ويعرض على الانسان بسببها أمراض نفسية خطيرة[3].

ان الالفاظ والكلام الطيّب يزرع بذرة العلاقات الطيبة، وعلى العكس منها يزرع الكلام الخبيث بذرة العلاقات غير المحمودة. وقد يتداول الأبوين لا شعورياً كلمات بذيئة في محاوراتهم، يكون لها الاثر السيء، ويمكن ان تكون سبباً في العذاب النفسي للطرف المقابل، بحيث تؤدي الى تحقيره والإزدراء به[4].

---

(١) يونس: ٤٥.

(٢) «ربّ كلامٍ أنفذ من السهام» غرر الحكم، ٥٣٢٢.

(٣) ان أعراضَ الكثير من الامراض العائلية ليست جسمية، لكونها أمراض نفسية، لها أعراض المرض النفسي، فلو زال سبب المرض ـ الذي هو نفسي ـ زال المرض تدريجياً.

(٤) أ: الألفاظ التي لها أثر سيّء، وهي كثيرة منها:

احمق، لا شعور لك، لا تفهم، لا أبالي، كسول، كذاب، جبان، مغرور، لا قيمة لك، قذر، مهذار، وحشي، ساقط، اسكت، ذو الدماغ الفارغ، مجنون، غير كفوء، الخ ... =

ان مشكلتنا الاساسية هي اننا لا ابداع لنا في تطوير وتحسين علاقاتنا مع الآخرين، فإن اكثر أبناء العوائل في مجتمعنا وان كانوا من المؤمنين والأوفياء بعضهم لبعض، إلّا أنهم وللأسف قليلوا البضاعة في مجال ايجاد علاقات صحيحة بينهم، خصوصاً بعد ان يكون لهم أبناء.

=ب: الكلام الذي له الأثر السيء:

- لماذا أنت دائماً هكذا
- أنتِ دائماً تحرقين الطعام!
- أنت دائماً عملك ضعيف.
- ما الذي فعلت من فعلٍ قبيح؟
- انت كلما ترى تريد.
- انت تحب نفسك فقط ـ أناني ـ.
- لماذا لا تبدل طبعك
- اسمع يا محتال.
- انت تبحث دائماً عن اعذار.
- أنت تنسى دائماً.
- أنت تنهض ببطيء دائماً.
- انك كسول.
- انت لا تفهم اصلاً.
- أنت لا تستحق أي شيء.
- الآخرون أفضل منك.
- أنت وقح جداً.
- انك لا ادب لك لأنك تقطع عليّ كلامي.
- انك صلف جدّاً.
- غيرك من النساء افضل منك تبعّلاً وفهماً.
- انت تغفل دائماً.
- كفى، كفى.
- انصرف، انصرف.
- انت لا حق لك.
- لماذا فعلت ذلك.
- ان دماغك فيه خلل.
- انت مجنون.
- انت تقصر دائماً.
- لم اسمع منك كلاماً صادقاً.
- لا تستطيع ان تفعل شيئاً.
- انت دائماً تكون سبباً في غضبنا.
- العار لك.
- انت أعمى دائماً.
- انت أصم دائماً.
- لا أدب لك.
- لا قيمة لكل كلامك.
- انّك تعس.
- إنّك قذر دائماً.

ولهذا الكلام الذي هو مصداق «الكلمة الخبيثة» آثار سيئة يخلّفها على العلاقات العائلية، مما يؤدي الى تكدير صفو العلاقات ويكون سبباً في الآلام النفسية، مما يؤول بسببها الأمر الى ضعف العلاقة، بحيث لو استمر الامر على ذلك الحال تنقطع العلاقات بين الطرفين ايضاً.

إن نار الخلاف بين الزوجين يمكن أن تأخذ بأذيال العلاقات بين افراد العائلة، ولها ايضاً آثار سوءٍ تخلّف بصماتها على علاقات الأبناء مع سائر افراد العائلة والمجتمع.

إننا نتعامل مع الآخرين ونشكّل معهم علاقات قائمةٍ على أساس تبادل الألفاظ والجمل، وننظر الى ذلك نظراً سطحياً، بحيث نتداول تلك الألفاظ بكل بساطة، فتتجاوز أفواهنا بشكلٍ طبيعي، غافلين عن الأثر الذي تخلّفه ـ وان لم يكن بحسب الظاهر محسوساً ـ على نفوس الآخرين، ان هذا الكلام[1] المتداول هو الذي يجعل من العلاقات بين الزوجين علاقات حبٍ وودٍّ، أو يكدّر صفو العلاقات بينهما، فذلك ـ بعبارةٍ اخرى ـ أما يجعل من العلاقات أوثق وأقوى، أو يؤدي الى التنفّر والافتراق. وعلى كل تقدير، اننا انما نكون سعداء إذا تمكّنا من إقامة علاقاتٍ صحيحةٍ ومنطقية بحيث نجلب بذلك رضىٰ الله تعالى عنا، ونكون به مسرورين.

إن الله تعالى جعل اللسان وسيلة لبيان الطيّب من الكلام[2]، الذي يستطيع

---

(١) وقد ورد في الغرر قوله عليه السلام: «انكم مؤاخذون بأقوالكم فلا تقولوا إلّا خيراً» ج ٣ ص ٦٥، وعن أمير المؤمنين عليه السلام ايضاً: «عوّد لسانك حُسن الكلام تأمن الملام» غرر الحكم: ٦٢٣٣.

(٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين، قال: «منطقهم الصواب ...» نهج البلاغ: وصف المتقين.

ألف: الألفاظ التي لها أثراً بنّاءً:

أحسنت، ما شاء الله، اشكرك، آمل منك ذلك، جيد، عزيزي، عمري، صديقي، أيها العاقل، أيها المحترم، عيني، تفضل، أيها المتّقي، أيها الحليم، أيها الرحيم، من فضلك، الخ.

ب: الكلام الطيّب:

ـ وفّقك الله. ـ كيف اشكر أتعابك.

ـ لو تمكنت سأفعل ذلك. ـ اني أحب طعامك. =

به الانسان من التعبير عن أحاسيسه، والحدّ من مشاكله، وتوثيق العلاقات الحسنة بسببه، وأخيراً فهو سبب في تكامل الانسان وسعادته، ولذا لا ينبغي للانسان أن لا يعير للألفاظ أهمية، لأنها من أفعاله التي يحاسب عليها ويؤاخذ بها.

قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1].

اننا لا يمكننا تقييم أنفسنا، أو أن نعتبرها ناجحة في إقامة العلاقات، إلّا اذا ابتلينا بالغضب، فمثلاً ما هو رد فعلكم وما تقولون لمن يكون عليكم غضباناً؟ وكيف يكون سلوككم في الموارد التي توجه فيها اليكم الانتقادات؟ وما تقولون عندما لا تستمع أزواجكم لكلامكم وماكنتم فاعلين؟ وما تقولون

=ـلك الاختيار في ذلك.
ـانت تفضل.
ـ تقبل الله منكم.
ـ ساعدك الله.
=ـاني ادرك ما تقول.
ـان طبخك للطعام لذيذ.
ـالله يرضى عنّا.
ـ تربت يداك.
ـان جهودك لا تنسى.
ـ تتمكن ان شاء الله.
ـأنا لا اعارض لو كنت راضياً.
ـ نحاول ان نكون أبوين جدين.
ـانك اليوم اجهدت نفسك كثيراً.

ـاني أتحسس أتعابك.
ـانك كنت دائماً من السابقين الى الخير.
ـاني اعبتر وجودك سبباً في تكاملي.
ـاني افرح لما أراك تصلي اول الوقت.=
ـ اسررتني كثيراً.
ـاسمح لي أن أساعدك.
ـ ما حاجتك.
ـمن فضلك حاول التفكير في ذلك.
ـانا أرعى الاطفال وانت صلّ اولاً.
ـأنا اليوم افعل ذلك وأنت طالعي.
ـاسمح لي أن أحل معك المشاكل.
ـاحب الاطلاع على رأيك.
ـاشعر انكِ ترغبين في ان نصلي معاً اول الوقت.

ـاشعر انك اليوم غضبان عليّ ولا ادري لماذا ولكن اقدر ظروفك.
ـانك تتحملين اعباء المنزل.

(١) ق: ١٨.

أو يكون رد فعلكم عندما تواجهون ضغوطاً اقتصادية في الحياة وعندما يتداخلكم الهم والغم؟ وما تفعلون لو رجعتم من محل عملكم ـ بعد ان سلب منكم الجهد والعناء الراحة، وقد واجهتم انواع الضغوط النفسية ـ الى البيت فتواجهون شتى المشاكل التي لم تحسبوا لها حساباً؛ ان كل ذلك يسمعه الله تعالى، وقد وصف الحال فيه بقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[1].

اننا اذا تمكنا من القضاء على الغضب في مثل هذه الظروف وضبط النفس بالسكوت على الأقل[2]، او بالكلام غير الجارح لمشاعر الطرف المقابل، والذي لا يخلو من العطف والرأفة، نتمكن حينئذٍ من القول بأننا قد نجحنا في علاقاتنا، واستطعنا الى حدٍّ ما الحفاظ على الاحترام المتبادل، الذي هو عبارة عن تلك العلاقات الصحيحة.

وفي الحقيقة، فإن مثل هذه العلاقات الحسنة والبنّاءة هو الذي يكون سبباً في رضا الله تعالى، وفي سعادة الحياة، وتكامل النفس، وعلو درجة التقوىٰ لدينا، ولدىٰ أزواجنا كذلك. ولا يخفى قلة وجود الأشخاص الذين يتعاملون في مثل تلك الظروف بسعة صدرٍ وانشراحٍ ورأفة.

إن أكثر المتزوجين يغفلون في مثل تلك الظروف عن إقامة علاقاتٍ صحيحة مع بعضهم، وغفلتهم هذه تكون سبباً في وجود الشقة بينهما تدريجياً مما تضر بشبكة العلاقات، وتكون في النتيجة سبباً في الاختلاف بين سائر افراد العائلة، وفي أذاهم النفسي والعصبي.

---

(١) المجادلة: ١.

(٢) عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال: «أحسن الصمت ما كان عن الزلل» غرر الحكم: ٣١٠٩.

فإنه قد يتفق اختلاف الزوجين مع بعضهما على أمرٍ حقير جداً، فيتبادلا الكلام الذي لا طائل تحته، مما يجرح القلوب سماعه[1]، ويكون سبباً في الخدشة لشخصية الطرفين، وفي إيجاد نوعٍ من العذاب العاطفي والاختلاف، إذ أن الضرب على وتر الاختلاف بينهما يؤدي الى تشنّج الأطفال في علاقاتهم مع بعضهم الآخر، ومع سائر افراد العائلة وتنعكس آثار ذلك الاضطراب على سلوك الأطفال بشكل سلوكٍ غير متّزن، في المدرسة والبيت، إذ أن منشأ أغلب التشنّجات ـ كالانزواء، كثرة الحياء، الكآبة، عدم العلاقة بالدراسة، وعدم الدقة ـ هو عدم التوازن الحاصل في شبكة العلاقات العائلية.

علاقات الابوين الصحيحة والبنّاءة مع بعضهما

كيف يمكن ايجاد جهازٍ للعلاقات العائلية قائمٍ على أساس تبادل المشاعر والأحاسيس؟ وما الذي ينبغي فعله من أجل اقامة علاقاتٍ صحيحة؟

إنّ العلاقات الصحيحة والجيدة هي ـ وكما أسلفنا ذكره ـ التي تتقوّم بطرفين يتبادلان بينهما الآراء والمشاعر، ويحترم كل منهما الآخر ويقدّره، ويهتم كل منهما بما يبديه الآخر من رأي، ويتعاملان بانسجامٍ تامٍ من أجل حل مشاكلهما، ويتقاسمان آلامهما وأفراحهما وآمالهما، ولذلك الاثر البالغ في الحد من الآلام في الظروف الصعبة عند هجوم المشاكل، وينتهي بهما الى سبل حلٍ صحيحة لتلك المشاكل.

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: «زلة اللسان أنكىٰ من اصابة السنان» غرر الحكم: ٥٤٥١.

ومن خصائص العائلة المؤمنة والمتّزنة هو حسن الاستماع[1] لأفرادها بعضهم لبعض، والترفّع بالغض عن الأخطاء فيما بينهم[2]، وتحسّس بعضهم آلام البعض الآخر في الصراع مع المشاكل، وهذه العائلة ـ التي يظل العلاقات الزوجية بين الرجل والمرأة الجوَّ الهادىء، والمليء بالحب والغبطة، المقرون بالود والاحترام المتقابل ـ هي المصداق لقوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزواجاً لِتَسْكُنوا اِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ في ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرون**﴾[3]، فإن من أجلى وأهم وأفضل مصاديق العلاقة الصحيحة بين الزوج والزوجة هو علاقات الأبناء الوديّة مع بعضهم، برعايتهم للاحترام المتبادل بينهم، الذي يضمن سلامة النفس ويكون بمثابة الدواء لجرح عواطف ومشاعر كل واحدٍ من افراد العائلة.

ومما يؤدي الى الودّ واستقامة البناء العائلي المقدس، ودوام واستحكام شبكة العلاقات العائلية وضمانها هو تبادل المشاعر والعواطف، واثبات العلاقة الصادقة والحب في جوٍ من المعنوية، بحيث يعتبر كل واحدٍ منهم الآخر سبباً لكماله ورقيّه وآية من الآيات الإلهية.

والتعرف على الاصول الصحيحة لإقامة العلاقات، والتبادل الفكري والعاطفي، يمكّن كل واحَدٍ من أفراد العائلة في أن يستعمل الالفاظ المحبوبة التي تصان بها شخصية كلٍ منهم، والتي تزيد من الاحترام المتقابل لهم، وهذه الالفاظ تكون سبباً في زيادة العلاقة القلبية يوماً بعد آخر، فتؤتي ثمارها كل

---

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام: انه قال: «عوّد أُذنك حُسن الاستماع» غرر الحكم: ٦٢٣٤.

(٢) وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال: «اشرف خصال الكرم غفلتك عمّا تعلم» بحار الانوار: ج ٧١ ص٤١٧.

(٣) الروم: ٢١.

حين، وتزيد من رقعة السلوك المؤدّب لأبنائهم أيضاً، ومن نماذج ما ينبغي ان يقول الزوج لزوجته من الالفاظ، ما ورد في قوله صلّى الله عليه وآله: «إذا قال أحدكم لامرأته اني أُحبك لم يخرج ذلك من قلبها أبداً»[1]. إن الإعراب عن الحب الباطني والقلبي، واحترام الزوجة، عن طريق المحاورة الهادئة، يكون سبباً في شدة علاقة الزوجة بالحياة المشتركة في ظل القيم الاخلاقية والمعنوية الرفيعة، وذلك لما لها من الميثاق الغليظ على زوجها، قال تعالى: ﴿**وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِم**﴾[3]، وقد كان النبي الكريم صلوات الله عليه وآله خير الناس لأهله في إقامة العلاقات على اساس الاحترام وتبادل المشاعر والروابط القوية، وأوصانا بذلك حيث قال «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[4]، وعلى الازواج أن يكنّ كما وصف الله في كتابه العزيز في قوله: ﴿**فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ الله**﴾[5].

خصائص العلاقات الصحيحة بين الزوج والزوجة

١ ـ هما ـ الزوجان ـ اللذان يعيّنان وقتاً (من الليل أو النهار) يقيمان فيه علاقاتٍ مع افراد عائلتهما.

---

(١) وقال صلى الله عليه وآله «اكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائه» نهج الفصاحة: الكلمة رقم، ٤٥٤.

(٢) النساء: ٢١.

(٣) النساء: ٣٤.

(٤) نهج الفصاحة: الكلمة رقم، ١٥٢٠.

(٥) النساء: ٣٤.

٢ ـ هما اللذان تكون لهما مع بعضهما علاقات قائمة على أساس الاحترام المتبادل، واللذان يكون لكل منهما مسؤوليةً غير مسؤولية الآخر، فإن تبلور العائلة رهين جهودهما معاً.

٣ ـ هما اللذان يدخلان الحوار مع بعضهما بحسن نيةٍ، واسلوب يُلمس منه العطف والمودة.

٤ ـ هما اللذان يحاولان حلّ مشاكلهما، وان يكون ما يوجهه أحدهما للآخر من انتقادٍ بعيداً عن أبنائهما.

٥ ـ هما اللذان يرعيان ـ في توجيه الانتقاد ـ الاحترام المطلوب بحسب قابلية الطرف الآخر وتحمله، بنحوٍ لا يكون في ذلك ضربة نفسية له.

٦ ـ هما اللذان يركّزان النظر عند الانتقاد على نقاط القوة، واللذان يعطيان لبعضهما فرصة اصلاح سلوكه.

٧ ـ هما اللذان يرعيان ـ في ابرازهما للأحاسيس أو النصائح والانتقادات ـ حال وشخصية الفرد الآخر بنحوٍ لا يخدش ذلك بعزة النفس لديه.

٨ ـ هما اللذان يحاولان غض النظر عن اخطاء بعضهما الآخر، لإمكان علم كل منهما بذلك[1].

٩ ـ في حالة كون أحدهما مذنباً، يحاول الآخر معاقبته بالسكوت، لقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**أعقل الناس من لا يتجاوز الصمت في عقوبة الجهّال**»[2].

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من أشرف أفعال الكريم غفلته عمّا يعلم»، نهج البلاغة، وقال عليه السلام في الغرر: ١٠٥٠٣ «لا عقل كالتجاهل، لا حلم كالتغافل».

(٢) غرر الدرر للآمدي: ج ٢، ص ٤٦٥.

١٠ ـ أن يأخذ كل منهما قوله تعالى: ﴿هـنَّ لِبَاسٌ لَكُـمْ وأَنْـتُمْ لِـبَاسٌ لَـهُنَّ﴾[١] بنظر الاعتبار عند الانتقاد، وذلك بمحاولة تغطية العـيوب وسـترها، ويرجّحان السكوت البنّاء على التكلّم بشيء[٢].

١١ ـ هما اللذان يقضيان اوقات الفرح والسرور مع بعضهما في البـيت، يتحدثا بما يكون سبباً في تكامل شخصيّتهما وشخصية أبنائهما، فـإن افـضل لحظات الفرح والحالات المعنوية لأي عائلةٍ في إقامة علاقاتٍ صحيحة هـو عند اوقات الصلاة، عندما يتوجه اهل البيت جميعاً الى ساحة القدس الالهي، ويقفوا لأداء الصلاة بقلب خاشع، ويقولون: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِـنْ ذُرِّيَتِي رَبَّنا وَتَقَبَّل دُعَاء﴾[٣].

وما دام للرجال في هذا المجال مسؤولية إدارة شؤون العائلة، لابد مـن تحلّيهم بالحلم والصبر والعفو والصفح، قـال تـعالى: ﴿وَإِنْ تَـعْفُوا وَتَـصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُم فِـتْنَةٌ واللهُ عِـنْدَهُ أجـرٌ عَظِيمٌ * فَاتَّقوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُم وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيراً لأَنْفُسِكُم وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾[٤].

وعلى اي حال، فلابد أن يلعب ربّ العائلة دوراً في بـعث روح الفـرح والسرور في نفوس أفراد عائلته، ولو اتفق له العثور عـلى نـقاط ضـعف فـي زوجته أو تعلقت في ذهنه شبهة عنها، فعليه العمل بقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ

---

(١) البقرة: ١٨٧.

(٢) قال علي عليه السلام: «الكلام كالدواء قليله ينفع، وكثيره قاتل» وقال عـليه السـلام ايـضاً: «رُبّ سكوت أبلغ من الكلام» غرر الحكم: الكلمة رقم ٢١٨٢.

(٣) ابراهيم: ٤٠.

(٤) التغابن: ١٤ ـ ١٦.

﴿بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾[1]، ولا يخفى ما ينبغي على الزوجة الذي تأكدت الوصية به من ضرورة تحملها للمسؤولية، وتحلّيها بالحلم، وكونها تابعة لزوجها في جميع شؤونها[2].

خصائص العلاقات الخاطئة بين الزوج وزوجته

١ ـ الإصرار والعناد في اثبات الموقف بالكلام.

٢ ـ تبرأة النفس عن العيوب، والالقاء بتبعات الخطأ على الغير.

٣ ـ الاصرار في تبرأة النفس عن الذنوب.

٤ ـ إكثار العتاب، والطعن باللسان.

٥ ـ الشعور بالأفضلية والترفّع عن الآخرين.

٦ ـ الاستهزاء والسخرية.

٧ ـ عدم ادراك مشاعر الآخرين والتعاطف معهم.

٨ ـ التكلم باسلوب خشن[3].

٩ ـ التدرّع بسلاح الدفاع عن النفس دائماً.

١٠ ـ رد الانتقاد بانتقادٍ مثله.

١١ ـ عدم الاهتمام بشخصية الآخرين.

١٢ ـ التحقير للآخرين[4].

---

(١) النساء: ١٩.

(٢) راجع لمزيد من البيان كتاب: ما ينبغي على الوالدين معرفته، للمؤلف، القسم الاخير، «حقوق الزوج على الزوجة».

(٣) قال امير المؤمنين عليه السلام: «من ساء لفظه ساء خطّه» غرر الحكم للآمدي، ج ٥، ٩١٧٣.

(٤) عن النبي صلّى الله عليه وآله: «اذل الناس من أهان الناس» بحار الانوار: ج ٧٥ ص ١٤٢، وعن أمير

١٣ ـ ابراز نقاط الضعف لدىٰ الآخرين والكشف عنها.

١٤ ـ وضع الآخرين في قفص الإتهام، بدلاً عن السلوك المؤدب معهم.

١٥ ـ عدم الاهتمام بحديث الآخرين.

١٦ ـ اظهار الانزجار بألفاظٍ بذيئةٍ وبشكلٍ مباشر.

١٧ ـ الخصام، والجدال[1].

١٨ ـ سوء الظن بالآخرين.

١٩ ـ محاولة اذلال الآخرين وتوجيه ضربةً لعزة النفس فيهم.

٢٠ ـ ردّ المعروف بالمنكر.

٢١ ـ الاعتراض المستمر على احقر الامور، الانتقادات، ابراز العضلات بالتهديد، الوصايا الدائمة، التدخل في غير محله، البحث عن اسباب الامور الحقيرة، كل ذلك من العوامل المضرة بالعلاقات السليمة والماحقة لها تماماً.

المؤمنين عليه السلام: «سنّة اللئام قبح الكلام» غرر الحكم: ٥٥٥١.

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: «لا محبة مع كثرة المراء» غرر الحكم: ١٠٥٣٢، وعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام: «اياك وكثرة الخصومات فإنها تبعدك من الله» بحار الانوار: ج٧٨ ص٢٨٨.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله

إذا سمّيتم الولد فأكرموه، وأوسعوا له في المجالس، ولا تقبّحوا له وجهاً.

جامع الأخبار: ١٢٤

مناهج

العلاقة مع الأطفال والشباب

قال موسى عليه السلام:

يا ربّ أيّ الأعمال أفضل عندك؟

قال: حبّ الأطفال، فإني فطرتهم على توحيدي[١].

العلاقة مع الأطفال والشباب

كيف يمكن إقامة علاقاتٍ صحيحةٍ مع الأطفال؟ وهل يمكن الإبداع في اقامة تلك العلاقات؟ ان أعقد العلاقات وأهمها، هي اقامة العلاقات مع الاطفال، وهي تحتاج الى نوع من الإبداع، والمهارة، الصبر والحلم الكثير.

ان اول ما يحتاج الطفل الية نفسياً، هو الرأفة به وحبّه، فإنكم قد تحبّون أطفالكم، ولكن المهم هو كيفية ابراز ذلك الحب اليهم، فإن كل طفلٍ ومن أجل أن يشعر بالاطمئنان، يحتاج الى هذا الحب، لأنه بالحب يأنس الحياة، وتكون علاقته بكم شديدة، وللعلاقة بينكم وبينه ارتباط وثيق بكيفية ابرازكم لذلك الحب[٢].

ان شعور الطفل بالاطمئنان يهييء أرضية ارتباطكم به في مجالٍ أوسع، ويتعلم بسبب ذلك كيف يكون له سلوكاً صحيحاً.

---

(١) بحار الأنوار: ج ١٠٤ ص ٩٧.

(٢) ان ضرورة ابراز الحب مما يسلّمه الجميع، ولكن المهم هو كيفية تطبيق ذلك على مصاديقه الجزئية، فإن الافراط في الحب كالتفريط في عدمه في الضرر، وهذان مع التضاد بينهما هما من الناحية التربوية في النتيجة سواء، ثم ان قلة الحب في الانسان تكون سبباً في سلب الرغبة منه عند القيام بأي عمل، وقد تمنع من القيام به، هذا ومن جهة اخرى، فإن الإفراط في الحب يجعل منه الانسان كسولاً، ومثل هذا الانسان لا يتمكن من القيام بكسب التجارب بنفسه، ولا من اتخاذ التصميم، ولا يتمكن من ارادة شيء، أو يرىٰ لنفسه شخصية ووجوداً.

إن السبيل المناسب الذي يمكن به إقامة علاقات مع الاطفال هو الحد من الاعتراضات عليهم، وتوجيه الانتقادات اليهم، والحد من الآمال ومن الكلام البذيء فيما يتعلق بأفعالهم، فإنه لا يمكن تأديب الاطفال بالاعتراض الدائم عليهم وعلى سلوكهم، فعلى الابوين والمعلمين التحلّي بالصبر والحلم، وان يضعوا برنامجاً لهم، ويخصّصوا وقتاً لذلك، ولابد من الالتفات وقبل تطبيق منهج التربية الجديد الى الآثار السيئة للمنهج التربوي السابق، لتأثير المنهج السابق على سلوكهم مدةً طويلةً، ولذا يحتاج الطفل الى وقتٍ اكثر ليتطبّع على المنهج التربوي الجديد، ولتزول آثار المنهج القديم.

ومن اجل اقامة علاقات صحيحةً مع الاطفال وتطبيق المناهج المؤثرة في التعامل معهم، نحتاج الى الوقت والفرص المبرمجة لذلك، وما دام لنا مسؤولية الأبوين او المعلمين نحتاج الى صرف وقتٍ اكثر في التربية والتعليم[1]، لنتمكن من اقامة ارتباطٍ أوثق معهم. وقد وقع هذا المنهج التربوي ـأعني تعيين وقتٍ لإقامة علاقاته صحيحةٍ في بيئتي المدرسة والبيت ـ في حياتنا المعاصرة في خطر، لأن الوقت المبرمج يمنع من التفريط بالوقت أو قضاءه في المجادلة ولغو الحديث.

إذاً فنحن نحتاج في المرحلة الاولى الى التعرّف أكثر على الأطفال، من أجل اقامة العلاقات معهم بنحوٍ أفضل.

---

(١) ان الاطفال بحاجة الى تعيين وقتٍ وبرنامجٍ صحيحين لقضاء اوقات فراغهم، ولذا من اللازم على كل عائلة توفير فرصة ولو في الاسبوع مرةً لنزهة الاطفال حسب أعمارهم ورغباتهم.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم»[1].

الخطوة الأُولى: معرفة مستوى ادراك الأطفال وفهمهم[2]

عند الاختلاط مع الأطفال، لا يكون هناك اهتماماً ـ في الغالب ـ بمستوى التكامل الذهني ومستوى الفهم لديهم، وذلك لأننا نتصوّر أن للطفل فهماً وإحساساً مشابهاً لفهمنا وإحساسنا مع أنه ليس كذلك، فإن الاهتمام الدقيق بمراحل التكامل، ومستوى القدرة العقلية، وميزان المعرفة، وقابلية واختزان المعاني والالفاظ لدىٰ الاطفال، كل ذلك هو من المسؤولية الاولى التي تلقىٰ على عاتق الآباء والمعلمين عند علاقاتهم بالأطفال.

وليس لأغلبنا ذلك الاهتمام بمعرفة القدرات العقلية والقابلية الذهنية للأطفال، فهل يختص ادراك الطفل بالامور الحسّية والملموسة، أو له قدرة على ادراك حتى المفاهيم الكلية الانتزاعية والمجردة عن الحس أيضاً؟ فإن أكثرنا يجهل أن للاطفال نوع من التغاير معنا في التفكير، ولذا لابد لنا في الرتبة الاولى من إحراز مستوى التكامل الذهني والعقلي للطفل.

---

(١) سفينة البحار ؟

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما من حركةٍ إلّا وأنت محتاج فيهاالى معرفة» تحف العقول: ص ١٧١.

الخطوة الثانية: معرفة مستوى الإدراك الخُلقي للاطفال

لابد من معرفة مستوى ادراك الطفل الذي نريد اقامة علاقةٍ معه من الناحيةالعاطفية والخلقية، فهل مستواه في حدّ فهم وتقييم الأُمور والقيم الاخلاقية على اساس الظواهر الحسية، أو يتجاوزها الى مستوى معرفة المقاصد والاغراض المستبطنة في كل فعل؟ وهل هو في مستوىٰ الادراك المستقل الذي به يفهم قيمة كل عمل من دون الاستمداد بالأبوين والمعلمين، وبعيداً عن جوّ تأييد الآخرين لذلك أو عدم تأييدهم؟ هذا ولا ينبغي الغفلة عن أن الادراك والتكامل الخُلقي للطفل ليس بمعزلٍ عن مراحل التكامل العقلي والذهني، ولابد من معرفة مستوى التكامل الاخلاقي والعاطفي للطفل الذي نريد اقامة علاقةٍ معه، لنتكلم بما يتناسب ومستواه، لا أن نتكلم معه بكلامٍ لا يفهم معناه باستعمال الفاظ القيم والمبادىء الاخلاقية، ونأمل منه تطبيق ذلك في اليوم التالي بحذافيره لتصورنا أنه قد فهمه.

الخطوة الثالثة: معرفة واقع الطفل واستعداده النفسي

عندما نريد إقامة علاقات مع الطفل ينبغي اولاً أن تعرف مدى وضعه النفسي؟ هل هو في وضعٍ يملأه الغضب، الهم والحزن، أو في حالٍ فرحٍ وسرور؟ ومعرفة الوضع الفعلي الذي يعيشه الطفل يساعد كثيراً على اقامة تلك العلاقات معه، فلو غفلنا عن ذلك أو لم نتأمل فيه سنواجه في الوهلة الاولى من تلك العلاقات صعوبةً ومشاكل عديدة، فإن الطفل لو كان في أقصى درجات العرامة والشراسة، ولم يسمع لنا ولغيرنا كلاماً، لا نتمكن من اقامة

علاقات معه بتلك البساطة، فإنه عندما يواجه الطفل مشاكل في المدرسة أو مع زملائه، ويعود الى البيت في حالةٍ من التوتر الشديد والغضب، تكون معاملة الاب او الام له في تلك الحالة امراً غير يسير، لأن معالجة مثل هذه الحالة تحتاج الى شيء من الحنكة، فإنه ان لم يُلتفت الى مثل تلك الحالات، ولا يحاول ادراك الظروف النفسية التي يمرّ بها الطفل، سوف لا ينفع فيه أحسن القول وأفضل البيان، وسيواجه ذلك منه بالرفض والعناد.

إن الطفل في تلك الحالة ـ الغضب والتوتّر ـ لو سمع من الغير كلاماً قبيحاً جرّاء علاقاته، سينقلب بسبب ذلك النظام الفكري والنفسي للطفل رأساً على عقب، وسيكون ذلك سبباً في ردود الفعل القوية والغير متّزنة للطفل، مما يزلزل علاقاته مع الغير.

اننا لابد من ان ندرك الوضع الذي يمرّ به الطفل تماماً، وذلك بأن نضع أنفسنا مكانه، ونتنزّل [1] لمستواه الفكري، لنتمكن من ادراك أحاسيسه ومشاعره، وفي مثل هذه الظروف لم يعد أمر الطفل ونهيه، تقييم أفعاله، الحكم عليه، انتقاده، نصيحته ووعظه، صالحاً وفي حقه، وليس هذا الوقت وقت طلب، أو وقت ترجي صدور ما ينبغي صدوره منه، خصوصاً لو استولى عليه الغضب فلا تكون له عين ترى ولا أُذن تسمع، وفي هذه الحالة سيواجه كلام كل من الأبوين رد فعلٍ قويٍ من الطفل، لذا يكون السكوت [2] في بعض الأحيان أفصح بياناً من الكلام، ومن هنا كانت الخطوة الثالثة هي ضرورة ادراك الوضع النفسي الفعلي للطفل.

---

(١) عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: «من كان عنده صبي فليتصاب له» الوسائل: ج ٥ ص ١٢٦، وعنه ايضاً: «من كان له ولد صبا».

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ربّ سكوتٍ أبلغ من الكلام» غرر الحكم.

قال علي عليه السلام:

«عود أُذنك حُسن الاستماع»[1]

الخطوة الرابعة: الاستماع التام لحديث الطفل وآرائه

ينبغي للأبوين ان يتعاملا مع الطفل بحزم ووجهٍ طلق، بأن يستمعا لحديثه وما يبديه من آراء، ولما يعرب به عن مشاعره، فإن ذلك يُفرغ ما لديه من أحاسيس، ويطمئنه نفسياً، ويحدّ من الضغوط النفسية التي يواجهها.

إن ما لابد منه هو كوننا دائماً أُذن صاغية لأطفالنا، وأن ندعنهم للقبول باهتمامنا لاستماع ما يقولون.

انه ينبغي لنا فسح المجال امام الطفل من اجل التعبير عن مشاعره، وان نعلّمه عدم الخوف اذا اراد الرفض او الامتناع.

فاذا أردنا أن نُحسن الاستماع ينبغي لنا السكوت ـ لضرورته أحياناً ـ ومن ثم نردّ على الطفل[2] بما يناسب المقام.

---

(١) غرر الحكم: ٦٢٣٤.

(٢) قال امير المؤمنين عليه السلام: «من أحسن الاستماع تعجّل الانتفاع» غرر الحكم: ٩٢٤٣.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«رحم الله من أعان ولده على برّه، قلت: كيف يعينه على برّه؟ قال: يقبل ميسوره، ويتجاوز عن معسوره»[1].

الخطوة الخامسة: تقبّل الطفل كما هو عليه، لا كما ينبغي أن يكون

لابد من التعاطف مع ما يبديه الطفل من مشاعر، وعدم رد رغـباته رداً صريحاً وقاطعاً، فإن الاستماع لحديث الطفل والرضـا عـنه يُـمهدان أرضـية الارتباط العاطفي معه، فلا ينبغي تعليق الرضا عن الطفل عـلى كـون سـلوكه صحيحاً دائماً.

إن التعاطف مع مشاعر الطفل ـ سواء كانت سلبية أو ايجابية ـ ليس معناه تأييد تلك المشاعر، بل ذلك يُعدّ أرضـية الاطـمئنان النـفسي لديـه، ويـوجّه مشاعره الخاطئة توجيهاً صحيحاً.

انه ليس من الصحيح الوقوف أمام رغبات ومشاعر الطفل اذا كان فـي حالة توترٍ وغضب، بل لابد من اختيار السكوت، لان الحديث معه قد يزيد في توتره اكثر، هذا ومن جهة اخرى فإنه لابد من اعـطاء الطـفل فـرصة تـطبيق تجاربه والتعرّف على عواقبها المنعكسة على سلوكه، ليتعلّم كيف يوفّق بـينها في الحياة، ويذوق طعم الانتكاسة فـي بـعضها، وليكـون أسـاسه قـوياً عـند

(١) الكافي: ج٦ ص ٥٠.

مواجهة مصاعب الحياة، فلابد من اعطاء الفرصة الكافية للطفل في هذا المجال.

غير ان بعض الآباء وللأسف يحاولون ـ وبمجرد حصول أقل اذى لطفلهم، أو عندما يمنعه من تحقيق رغبته مانع، أو عندما يفقد شيئاً ـ وفي أسرع وقت رفع ذلك من دون أن يدعوا الطفل يذوق ولو للحظةٍ واحدةٍ طعم المحنة، ومثل هؤلاء الأطفال يكونون قليلي التحمل سريعي الألم نفسياً، وفي غاية الحساسية لأدنىٰ الامور، إذ هم بذلك سيواجهون الاندحار والهزيمة في أول مواجهة، فهم لا طاقة لهم على تحمّل مشاق الامور والصعوبات، حيث يستولي عليهم دائماً الشعور بالعجز واليأس.

والذي يقتضيه الحال أحياناً هو السكوت عن الطفل ـ في حالات غضبه ـ ليرىٰ نفسه تماماً، كما يرى الشخص نفسه في المرآة، وعندما يهدأ وتطفأ نار الغضب في نفسه سيقيّم سلوكه حينئذٍ.

إنّه لابدّ من الاهتمام بما يبديه الاطفال من مشاعر، وعدم تجاهل شخصياتهم وذلك بعدم إخضاع سلوكهم للانتقاد الكثير، والى الصياح والتهريج، فإن الاطفال ليسوا غرضاً لتشفّي نفوسنا، فإنه لو أردنا في مثل ذلك الحال نصيحتهم ووعظهم أو انتقاد أفعالهم ووضع معايبهم نصب أعينهم، سوف يهربوا منّا ويتّخذوا لأنفسهم موقفاً دفاعياً، وذلك لأنّهم في وضعٍ لا يساعدهم أبداً على استماع شيءٍ مما نقول.

ان الاطفال تؤثر فيهم مختلف المشاكل والحوادث التي تواجههم لقلّة بضاعتهم من التجربة، ولذا تراهم يحاولون إبعاد هذه الحالة السيئة ـ عدم

الارتياح ـ عن أنفسهم بالتعبير عن مشاعرهم، ولذا لابد من التعاطف مع ما يبدوه من أحاسيس، لأن ذلك أفضل سبيل لتوثيق العلاقات مع الاطفال، ولأنه يحدّ وبسرعة من الضغوط النفسية لديهم ، وكل ذلك بفضل التعبير عن مشاعرهم الذي يضطرّهم بالعودة الى وضعهم الطبيعي مرّة أُخرى .

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«المؤمن مرآة المؤمن»[1]

الخطوة السادسة: التعاطف مع المشاعر

ينبغي التعبير عن التعاطف القلبي بالألفاظ الطيّبة التي تبعث في النفس نوعاً من الاطمئنان، لتطلّب هذه المرحلة الكلام الدقيق والموزون، ولابد ان يكون التعاطف بتبادل المشاعر مقروناً بالبيان الواقعي لأحاسيس الطفل، والمجرّد عن التقييم أو الحكم عليه.

إنّ كلامنا لابد أن يكون بمثابة المرآة التي تعكس الواقع من سلوك الطفل ومشاعره من دون أن تتصرف في ذلك بنحوٍ يشعر الطفل ويحسّ ذلك في أقوالنا كما هو عليه.

إن تبادل الأحاسيس والمشاعر مع الطفل يعطيه نوعاً من الاطمئنان النفسي والهدوء النسبي، ويضطرّه الى التفكير، فيرىٰ الامور جيداً ويتأمل فيها ويكتشف من خلال ذلك نقاط الضعف والقوة في نفسه، ويرىٰ ذلك حقيقةً حيث يكون كالواقف أمام المرآة، فيسعىٰ في رفع معايبه، إذ أن تفكير الطفل انما يكون صحيحاً اذا كانت أحاسيسه ومشاعره صحيحةً، ولا يعيش القلق النفسي.

ثم ان الاب والام أو المعلّم وبعد لحظات من السكوت سوف يعثرون على ما يساعدهم في ايجاد علاقاتٍ صحيحةٍ وبنّاءةٍ مع الطفل من أجل ارشاده

(١) ميزان الحكمة: باب الايمان.

وهدايته، من خلال تبادل الكلام الطيّب معه ليجذبوه نحوهم.

إنه لابد من إعداد الجو المناسب الذي يتمكّن الأطفال من خلاله بيان أحاسيسهم ومشاعرهم، جواً خالياً من الرعب، مفعماً بالحب والرأفة، لأن الدخول إلى اذهان الاطفال الذي يولّد لهم القناعة بنا يمهّد ارضية الدخول الى قلوبهم، إذ أن أكثر ما يولّد للاطفال الثقة بأنفسهم، هو ناتج عن شعورهم الخاص في ما يعتقدوه من رأي ونظر الكبار فيهم.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«أكرموا أولادكم»[1].

وقال صلّى الله عليه وآله:

«لا يرهقه ولا يخرق به»[2].

المنهج التحرري هو السبب في توجيه مشاعر الطفل نحو الأفضل

لابد من إيكال مسؤولية سلوك الطفل اليه، وذلك بإعطائه فرصة اتخاذ القرار بنفسه، ليعرف أي السبل أفضل، بأن ندعه يواجه الواقع عملياً ويلمس نتائج سلوكه، ويحلّ مشاكله بنفسه، ولكي يربط بين عواقب أفعاله وسوء سلوكه ربطاً طبيعياً، ليحصل على نتيجةٍ منطقيةٍ وصحيحة.

إن الارشادات المتوالية، التشجيع أوالتأديب الآنيين والمفرطين، تسلب من الطفل فرصة التفكير والقدرة على اتخاذ القرار المناسب، وتجعله يعمل عملاً ارتجالياً غير مدروس، مما يؤدي به ذلك الى عدم اعتبار نفسه مسؤولاً عن سلوكه وما يصدر منه من أفعال، وعلى العكس من ذلك فإن عدم التدخل بشؤون الطفل يعطيه الفرصة الكافية، ويجعله يدرك سلوكه إدراكاً صحيحاً، فيشعر بالمسؤولية لما يكون له من سلوك.

---

(١) الكافي جلد ٦ ص ٥٠.

(٢) نهج الفصاحة، الكلمة: ٤٥١.

إن السيطرة الدائمة والسلطة المفروضة من قبل الأبوين والمعلمين، والافراط في المحافظة والحب الشديد للطفل كل ذلك من مخلّفات الإعراض عن أصل التحرر وعن الاحترام المتبادل لشخصية الطفل أو الشاب.

اننا لو أردنا القيام بعمل يتمكن الاطفال القيام به بأنفسهم، فإن ذلك في حدّ سلب الثقة منهم، وعدم احساسهم بالمسؤولية مما يحقّرهم ذلك ويقلل من شأنهم، وكل ذلك يحكي عن نسبة العجز اليهم، ومثل هذه المعاملة تزلزل نفوسهم، وتفتح باب التشكيك لهم في طاقاتهم.

انه لابد من القاطعية والحزم فيما يتعلق بالقانون والنظام، ولا ينبغي في هذا المجال حرمان الطفل أو الشاب من حقوقهما المسلّمة.

ان استخدام مناهج التحرر والانفتاح يعطي للأطفال والشباب حق الانتخاب والاختيار ويزرع في نفوسهم بذرة الإبداع في تفجير طاقاتهم الدفينة، انه لا ينبغي التعامل مع الاطفال على اساس الغضب وتوتر الاعصاب، بل لابد من منحهم فرصةً ليتعرّفوا فيها على تأثير سلوكهم، والتعرّف على قيمة ومنزلة أعمالهم، وينبغي أن لا نتسرّع في الحكم على سلوك الأطفال أو تقييمه.

إنه لابد من إشعار الأطفال في جميع الأحوال والافعال ضرورة وجودهم وأهميته، ولا بد ان يعلموا أن اعمالهم في نظرنا صحيحة ليشعروا أن لهم كفاءة وقيمة ذلك.

انه لو اردنا أن يكون للأطفال والشباب الشعور بالعزّة لابد من احتضانهم على ما فيهم من نقاط ضعفٍ ونقص، لأن في الضرب على وتر الضعف والنقص أثراً غير مطلوب، حيث يؤدي الى عدم اهتمامهم بالامور ويسلب منهم الشعور بعزّة النفس، فلوأن أحداً يكرر عليكم ذكر عيوبكم وأخطائكم كل يوم هل

تشعرون بعد ذلك بشيء من الكفاءة والقيمة؟ فإنه بذلك سوف يتصدع حس العزة بالنفس لديكم، وتُسلب عنكم رغبة القيام بأيّ فعلٍ.

إن ارضية التطور والابداع موجودة لدى جميع الاطفال، والسبب في عدم تطوّر بعضهم يعود الى النصائح المكررة، والتوبيخ الدائم، والى قياسهم بالاطفال المتفوّقين، سواءً كانوا في المدرسة او في البيت، لان مثل هؤلاء الاطفال يشعرون في قرارة نفوسهم بحقارتهم، ويتولد لديهم تدريجياً الشعور بعدم تمكّنهم من اصلاح أخطائهم وانهم لا قدرة لهم على الابداع والتقدم، وعلى العكس من ذلك لو أن احداً ـ وبدلاً عن تأنيبكم وذكر أخطائكم مراراً ـ أخذ يشيد بكم ويمجّد سلوككم وافعالكم الحميدة، فإنه سيكون لكم الشعور بإحترام الآخرين لكم، وتقديرهم لمنزلتكم، وأنكم قد أحرزتم رضاهم، ونفس هذا الشعور سوف يكون عاملاً مشجّعاً على التطور، ويحثّكم نحو بذل الجهد اكثر من أجل القيام بالمزيد من هذه الأعمال الطيّبة، وقد نجح الكثير من الاطفال في هذاالمجال، وهذا الأمر طبيعي جداً، ولكن وفي موارد يسيرة صار النجاح في العمل ـ ومن باب ردّ الفعل الشخصي ـ وللأسف مورداً للاستهزاء والتحقير.

ومما يؤسف له انَ الكثير من سلوك المعلمين والآباء يطغىٰ عليه طابع التأديب الشخصي، ويتخذ قالب البحث عن المعايب والأخطاء، فإن سوء الظن بالاطفال يعرّضهم للخطر عند ارتكابهم للأخطاء، مع ان ارتكاب الخطأ يمكن عدّه عاملاً مساعداً في اكتساب التجربة والعلم، وبهذا الاعتبار سوف لا ترتدي أخطاءهم ثوب الخذلان واليأس.

انه لابد من تشجيع الطفل في مثل هذه الحالات، وعدم إيذائه نفسياً

عندما يكون له آمالاً رفيعةٍ يريد تحقيقها، سواء كانت تتعلق بالمدرسة أو بالجانب الاخلاقي، فإنه لابد من احتضان الاطفال والشباب في حدّ ما لديهم من طاقات واستعداد، كما ورد في الحديث «يقبل ميسوره».

فلا ينبغي عن طريق الذكر الدائم لأخطائهم توبيخهم ليتمكّنوا من تغيير ما بأنفسهم، ولابد من إحياء عزّة النفس لديهم، وإشعارهم بأن لهم قدراً وشأناً، وذلك عن طريق تشجيعهم عند تقديمهم العون للآخرين، واحياء الأمل في نفوسهم، وإشعارهم بان في وجودهم الخير الكثير.

انه لو اردنا أن يكون أبناؤنا متكاملين ومبرّئين عن أي عيبٍ ونقص، فعلينا أن نعلم أن خوفهم المستمر عن وقوعهم في الخطأ، يوجب الحدّ من نشاطهم حتى بالمقدار الذي يتمكنون عليه، ولذا لابد من ان يكون لنا ثقةً بهم، ليعتقدوا أنّا واثقون بهم، حينئذٍ سوف يخرجوا عن الشعور بالذلّة ويكون لهم سلوكاً ينمّ عن تحررهم النفسي.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«لا تحقّرنّ أحداً من المسلمين فإن صغيرهم عند الله كبير»[1].

توجيه مشاعر الطفل وميوله توجيهاً صحيحاً

انه لابد لكم من انتهاج سبيلٍ يساعدكم على اقامة العلاقات مع الطفل، بحيث يفهم به مقاصدكم وما تريدوه بسهولة، وعليكم اختيار وقتٍ مناسبٍ للحديث الطيّب معه، وحاولوا أن لا تصرّوا على الحديث معه في حالات التوتر والغضب، ثم ان الحديث لابد ان يكون مجرداً عن اللّوم وإلصاق البذيء من الألفاظ، ومن الضغط والاستهزاء[2].

حاولوا أن تبدوا للطفل أن لكم به حسنُ ظنٍ وثقةٍ، ولابد لكم من تشجيعه واعلموا أن الخطأ والتقصير لا يمكن اجتنابهما عند قيام الطفل بأيّ عمل.

إن في عدم الاعتناء بأخطاء الطفل، والبشاشة في وجهه ومساعدته، كل ذلك يشجّعه ويشوّقه للعمل أكثر، ولابد من إلفات نظره الى أن الخطأ في طريق النجاح ليس بخطأ.

ولابد من توجيه مشاعر الطفل توجيهاً غير مباشر، ومن اجلِ ان تستوثق العلاقة معه ينبغي أن تُبدوا له عند قيامه بالعمل الاحترام وتقيموا له وزناً، وحاولوا في ذلك الاعتماد على المشاعر الطيبة.

---

(١) تنبيه الخواطر: ج١، ص٣١.

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «نصف العاقل احتمال، ونصفه تغافل»، غرر الحكم: ٩٩٦٨.

انه لابد من مساعدة الاطفال في توجيه مشاعرهم نحو الافضل، ليعثروا على عزة النفس فيهم، ويشعروا بأن لهم قيمةً ومنزلة، انه لابد لنا من تغيير سلوكنا معهم، وذلك بأن نؤكد على نقاط القوة لديهم دائماً، بدلاً عن الضرب على وتر أخطائهم، فإن ذلك يكون سبباً في ثقتهم بأنفسهم مما يقوي الشعور لديهم بان لهم قيمةً ومقاماً، فيميلوا في النتيجة إلى اختيار مسالك تضطرّهم الى القيام بأعمالٍ حسنة، وهذا ـ الثقة بالنفس وتقوية الجوانب الايجابية ـ من أكثر العوامل تأثيراً في توجيه مشاعر الطفل التوجيه الصحيح.

قال علي عليه السلام:

«فإن كثرة الذّكر لحُسن افعالهم تهزّ الشجاع وتحرض الناكل إن شاء الله»[1].

الخطوة السابعة: تكريم الطفل واحياء الشعور بعزّة النفس لديه

ان اهم الاصول التربوية التي ينبغي على الأبوين والمعلمين الاهتمام بها هو حبهم للأطفال واحترامهم والحفاظ على كرامتهم، ومعاملتهم معاملة الكبار في التقدير والتكريم، وذلك لأن التربية التي تبتني على اساس القوة محكومة بالهزيمة، فإن العلاقة القائمة على وجود القوة في طرفٍ واحدٍ تؤدي الى سلب الرغبة من الطفل في القيام بأي عمل، بدلاً من مساعدتها على ادراك الطفل وفهمه للامور، وجعله مراعياً للضوابط والمقررات، وذلك لأن الطفل انما يتاثر بالكلام والسلوك إذا كان له دور في القيام بمثل ذلك السلوك بنحوٍ من الأنحاء.

إن الطفل اذا لم يشعر بأن له كرامة لا يهتم بنفسه، ولا يكون في علاقاته مدرِكاً لأهمية رعاية الضوابط بالالتزام بها، انه لابد من أن يشعر أنكم تجعلوه كفؤاً لكم من دون فرق، ليكون له شعوراً مقابلاً يأخذ من خلاله بإرشاداتكم ويفكر في أقوالكم ويعتقد بها، فإن السبب في اقتداء وتأسّي الاطفال بأقرانهم يعود الى الشعور بالتكافؤ[2] الذي يعتقد به الأبوين والمعلم، مما يؤدي الى

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) ان اهم الوسائل التي تؤثر في العلاقة مع الطفل هي ادراكنا لمشاعره عن طريق التصابي له، فعن

وجود نوعٍ من التساوي والتكافؤ في العلاقات وتبادل المعلومات، ولذا فإنه لا ينبغي صدور كلامٍ يشينه ويهدد كرامته.

ان وجود المشاكل والاضطراب في علاقات الاشخاص مع بعضهم في السلوك يكون معلولاً في الغالب الى فقدان الاحترام فيما بينهم وانعدام الكرامة.

وفي هذه المرحلة لابد من بيان المشاعر والمعلومات ـ التي فيها جوانب ارشادية تقوّي شخصية الطفل ـ بجدٍ ومن دون توبيخ[1] أو انتقاد، باسلوبٍ هادئٍ وعاطفي، وفي جوٍ يملؤه الحب والاحترام، فإن هذه الكلمات والألفاظ لو حملت في طياتها أدنىٰ خدشةٍ لشخصية الطفل ومزاجه، سيتخذ فوراً موضعاً دفاعياً لنفسه ليُفرغ من خلاله جام غضبه، وسوف لا يكون مستعداً لقبول النصائح والكلام ولو كان حقاً.

ولهذا الموقف أثر مشهود حتى على سلوكنا نحن الكبار، فإنه لو انتقد أحد سلوكنا أو أقوالنا، أو طعن فينا وانتقص من شأننا، ترى أحدنا يتخذ لنفسه موضعاً يدافع فيه عن نفسه، ويُعرض عن سماع تمام الحديث، وكأنّ تقييم سلوكنا هو عين تقييم شخصيّتنا، وعندما نشعر بنوعٍ من التحقير والاستخفاف نتخذ موضعاً نُبرز من خلاله ردّ فعلنا بحيث لا نسمح لأنفسنا استماع كلام الحق ابداً، لان مشاعرنا وشخصيّتنا قد تعرّضتا للخدشة والتحقير.

إن التقييم لابد أن يكون مجرداً عن الاشارة الى الأخطاء، ومفعماً

النبي صلّى الله عليه وآله انه قال: «من كان عنده صبي فليتصاب له».

(١) عن الباقر عليه السلام قال: «من وصايا الخضر لموسى عليه السلام: يابن عمران، لا تعيّرنّ أحداً بخطيئة» بحار الانوار: ج٧٣ ص٣٨٣.

بالاشارة الى نقاط القوة في الأطفال، فإنه لابد من التأكيد على أن لهم عندنا كرامةً، وأن حبّهم في قلوبنا، ومن ثم نلفت نظرهم وبصراحة الى أن سلوكهم لم يكن صحيحاً، ونعطيهم بعد ذلك فرصة التفكير فيما قلنا لهم.

وحيث أن شخصية الطفل لم تتوجّه اليها في هذه الحالة ضربةً، يرجع الطفل الى ضميره فيتألم مما صدر منه ويشعر بعدم الارتياح.

إننا وبالتأكيد على الجوانب الايجابية، وإعطاء القيمةلشخصية الطفل، نكون قد قوّينا فيه حس الثقة بالنفس، وفي الوقت نفسه رفضنا ما قام به من عملٍ قبيح، وهذا الاسلوب يجعل الطفل يشعر بكرامته ـ وفي الوقت نفسه ـ يتألم ممّا صدر منه ويكون عليه من النادمين.

إنّ الطفل يحب نفسه وليس مستعداً لتحمّل الشعور بالألم النفسي ولو للحظةٍ واحدة، ويحاول الهروب من مثل هذه الحالات ونسيانها، وعلى أيّ حالٍ فإنه وبسبب ما يتوفر له من فرصٍ وجوٍ مليٍْء بالحب والاحترام المتبادل، يحاول الهروب وبشكلٍ طبيعي من القبائح ومن عذاب الضمير، ويلجأ الى فعل الخير، والى الشعور بالفرح والسرور، وهذا الإحساس فطريٌ في الانسان، وذلك لأنه يعلم أن هذا الشعور لا يحصل إلّا في ظل الإلتزام بالضوابط والفضائل الخلقية، لا في التخلّف عنها.

إن اظهار الوالدين والمعلمين حبّهم واحترامهم للطفل يضطره الى الالتزام الخلقي، ولا يكون بعد ذلك مستعدّاً لارتكاب القبيح خوفاً من الخروج عن هذا الشعور، والنزول عن المقام والكرامة اللذين حصل عليهما بسبب الالتزام بالاخلاق، ولذا حتى لو ارتكب عملاً قبيحاً فلا يكون ذلك عن عمدٍ.

ثم إننا وبعد النجاح في ما أسسناه من علاقةٍ مع الطفل وتعاطفنا مع

مشاعره، ينبغي لنا إبراز مشاعرنا الصادقة[1] تجاه أفعاله وسلوكه، ونحن في حاجةٍ ماسةٍ الى معرفة الأطفال أكثر، فإنه لابد من أن ندرك ظروفهم ونتعرّف على مزاجهم، وأنهم من أي نحوٍ من الألفاظ والامور ينزعجون ويتألمون، إنهم يتألمون من كل ما يقدح في شخصيتهم ويوجب تحقيرها، إذاً لابد من الحفاظ على عزتهم وكرامتهم، وذلك بعدم استعمال كل ما يجري على اللسان من ألفاظٍ تقدح بعزةِ نفوسهم.

إنه لابد من ابراز مشاعرنا للأطفال، وذلك بأن نعكس لهم قبح أعمالهم ليلمسوا ذلك بأنفسهم كما نلمسه نحن، فإن المهم هو إشعار الطفل بذلك.

ان الطفل لابد من أن يدرك حالة التوتر والغضب التي تنتابنا جرّاء ما يقوم به، ومن أجل أن يدرك ذلك ادراكاً صحيحاً لابد من بيان مشاعرنا الصادقة وبصراحة تجاه ما قام به من عملٍ قبيح، وذلك بأن نقول له مثلاً: إني متألّم، إني غضبان، لم أكن آمل ذلك منك، إني لا أستطيع أن أرى ذلك، الخ.

إن آثار الكلام الطيّب تظهر على سلوك الطفل بعد مدّة إذا لم يجرح مشاعره، وتظهر على وجهه علامات عدم الارتياح اذا شاهدنا في حالةٍ غير طبيعية، وسوف تكون هذه اللحظات بالنسبة اليه لحظات مؤلمة، إذ يحاول الطفل الخروج عن مثل هذه الحالة وبسرعة لأنه لا يحب ان يعاني ذلك الألم، وفي هذه الحالة ينبغي لنا الاسراع في إغاثته وإفهامه بأننا نحبّه، أي أننا وبإبراز الحب اليه، وترميم شخصيته، وبالاعتماد على نقاط القوةلديه نتمكن من إفهامه، بأننا لا نستطيع أن نشاهد مثل تلك الاعمال في المستقبل من قبله.

ان للحزم أثراً بالغاً في ازالة مثل تلك الأعمال والحدّ منها، فإننا في

---

(١) قال علي عليه السلام: «من علامات الإقبال سداد الاقوال والرفق في الافعال» غرر الحكم: ٩٤٣١.

الوقت الذي نحترم فيه شخصية الطفل نحاول تقييم سلوكه، ونهييء له الظرف المناسب ليتمكّن فيه من التفكير في ذلك، وحيث أن مثل هذه الامور تحدث في جوٍّ يظلّله الحب والاحترام، يشعر الطفل أنه بعد ما حصل على تلك المنزلة في نفوسنا لا ينبغي له ممارسة ذلك السلوك، ولا ينبغي صدور ذلك الفعل منه، ولذا يحاول جاداً في عدم تكرار ذلك، فيلتزم بأُصول الاخلاق مهما أمكن، لأنه ومن اجل ان يحافظ على كرامته وعزّة نفسه يحب ويريد أن يكون عزيزاً لدىٰ الآخرين، ويشعر بأنه عزيز لدينا أيضاً، فإن الكلام الطيّب نظير[1] قولنا له: بأنّا نحبه، يعطيه هدوءاً خاصاً ينعكس على سلوكه، بحيث يحاول جاداً في رفع مشاكله معتمداً في ذلك على نفسه واثقاً بها، ولا يكرر هذه التجربة المرّة تارةً أُخرى ليواجه ما واجهه في مثل تلك الحالات، وهذا الامر يتم لو كان ـ وكما تقدم ـ في ظل جوٍ تتبادل فيه العواطف والاحترام المتقابل وحسن ظن كلٍ منهما بالآخر، معتمداً في ذلك على طاقات الطفل وتقوية الثقة بالنفس لديه وتكريمه، فلو أمكن وجود مثل هذا الجو للأطفال الذي يُحسب فيه لهم حساباً خاصاً، حينئذٍ سيكون رأيهم وتقييمهم صحيحاً لأنفسهم وللآخرين، وذلك لأن التغيير لسلوك الانسان لا يتيسّر إلّا في ظلٍّ العلاقات الصحيحة والاحترام المتبادل.

---

(١) قال النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: «خيركم من أطاب الكلام» بحار الانوار: ج٧ ص٣٨٣.

قال علي عليه السلام:

«من كرمت عليه نفسه لم يُهنها بالمعصية»[١].

وقال عليه السلام:

«من هانت عليه نفسه فلا تأمن شرّه»[٢].

السبب الأساس في قلق الاطفال النفسي هو ما يوجّه لشخصياتهم وعزة النفس لديهم من ضربات

إن كرامة الانسان وحفظ شخصيته من الامور المسلّمة والذاتية التي يعيش الانسان بآمال اكتسابها والحصول عليها من خلال قيامه بمحاولاتٍ شتىٰ ونشاطات مختلفة، وكل ذلك هو من أجل الحصول على ما يرضيه عن طريق صيانة نفسه والحفاظ على شخصيته واتزانه، فكلّنا يسعىٰ جاهداً في حياته وبشكلٍ دائم للحصول على شأنٍ وقيمة فيحاول الحفاظ عليها إلى حدٍّ ما، وكل ما يتعلق بشؤون الانسان من قبيل المحاولات اليومية من تحقيقٍ واعتقاد ومشاعر وسلوك مما يرتضيه الانسان هو من اجل أن يرفعه ذلك درجةً ومنزلة . فإن سعىٰ الانسان للحصول على ثروةٍ اكثر أو مقامٍ أرفع فليس ذلك إلّا من أجل إرضاء هذا الأمر الفطري والذاتي لديه، فهو حتى عندما يجاهد ويضحي بنفسه تقرّباً الى الله تعالى يشعر بأنه قد روّى حسن العزة بالنفس لديه،

---

(١) غرر الحكم: ٨٧٣٠.

(٢) بحار الانوار: ج ٧٥ ص ٣٧٥ وقال عليه السلام «من كرمت نفسه قل شقاقه وخلافه» غرر الحكم: ٩٠٥١٠.

وقد أكّد القرآن الكريم على ذلك معتبراً المآل في جميع جهود الانسان ومساعيه هو كرامة الانسان وحفظ شخصيته وعزة نفسه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[1] وعن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: «من هانت عليه نفسه فلا ترجَ خيره»، وعلى ذلك فالانسان المحترم والذي كرمت عليه نفسه لا يصدر منه سلوكاً منحرفاً أبداً، والانسان الذي هانت عليه نفسه ويشعر أنه ذليل وحقير لا يأبىٰ عن ارتكاب اي عملٍ قبيح.

وبهذه النظرة يكون منشأ جميع سلوك الاطفال هو عدم المعاملة الانسانية الصحيحة معهم، فإن ردّ الفعل طبيعي وفطري لدىٰ الانسان عندما يشعر بانتهاك كرامته وخدش عزة نفسه أوكل ما يوجب تحقيره، إلّا من دسَّ كرامته الانسانية في التراب[2]، وابتعد بسبب إفراطه في الذنوب والمعاصي عن الرحمة الالهية، وصار في الحضيض. وفي أسفل السافلين[3].

---

(١) العنكبوت: ٦، قال تعالى: (فمن نكث فانما ينكث على نفسه) الفتح: ١٠.
وقال تعالى: (ومن تزكّىٰ فإنما يتزكىٰ لنفسه والى الله المصير) فاطر: ١٨.
وقال تعالى: (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله لغنيُّ وأنتم الفقراء) محمد: ٣٨.
وقال تعالى: (ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غنيٌّ كريم) النمل: ٤٠.
وقال تعالى: (فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها) الاسراء: ١٥.
وقال تعالى: (ومن عَمِل صالحاً فلنفسه ومن اساء فعليها) فصّلت: ٤٦، والجاثية: ١٥.

(٢) قال تعالى: (وقد خاب من دسّاها) الشمس: ١٠، ولا يخفى ان مثل هؤلاء اعتبروا عزة أنفسهم وكرامتهم في التمتع بالشهوات، وهوى النفس، في حال أن عزة النفس هو صيانتها عن المفاسد، فهولاء أخطأوا في تشخيص المصداق.

(٣) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من هانت نفسه فلا تأمن شرّه» بحار الانوار: ج ٧٥ ص ٣٧٥ وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يكذب الكاذب إلّا من مهانة نفسه عليه» كنز العمال: ج ٢، ٨٢٣١، وعن الصادق عليه السلام أنه قال: «ما من رجلٍ تكبّر أو تجبّرٍ إلّا لذلةٍ وجدها في نفسه «بحار الانوار: ج ٧٣ ص ٢٢٥، وعنه عليه السلام «نفاق المرء من ذلٍّ يجده في نفسه» ميزان الحكمة: ج ١٠ ص ١٥١.

قال الحسين بن علي عليه السلام:

«وهيهات منّا الذلة»

وقال الامام الخميني (قدس سرّه):

إن أقوىٰ وأعنف ما وجهته القوىٰ الكبرى لنا من ضربات هو قتل الشخصية فينا حيث حاولوا سلبها منّا، فابتدؤا بنا من المراحل الاولى بإعداد ارضية العبودية للأطفال والارتباط بالغير، ليتدرّجوا بهم الى مراحل أعلى ...»

النظرة السياسية، وإذلال الانسان

ان المستعمرين وعلى طول التأريخ اذا أرادوا الاستيلاء على البلدان الاسلامية وتسخير مصادرها الاقتصادية وكنوزها الوطنية، فهم يحاولون في الوهلة الاولى تضعيف الشخصيات المثقّفة وتحقيرها، فكأنهم قضوا على كرامتهم، فاختاروا لتحقيق أهدافهم أُناساً داسوا كرامتهم وجميع القيم تحت أرجلهم. لكن الانسان المَستقيم يستطيع الوقوف بوجه كل من يريد إذلاله والحطّ من شخصيّته والمسّ بكرامته.

ان اعداء الانسانية في بلدان العالم الثالث أول ما يقومون به هو تضعيف البنية الثقافية للمجتمع، ممّا يؤدّي ذلك الى تضعيف شخصية افراد ذلك المجتمع، ليتمكّنوا من السيطرة على مقدّرات تلك البلاد، واخيراً يصنعوا من افراد ذلك المجتمع وسائل لتنفيذ أغراضهم وخططهم السياسية المشؤومة.

ان الذين ينشأوا منذ الطفولة أذلآء وفي جوٍ يملئه الطعن واللعن والتهريج والتوبيخ، والذين تكون لهم علاقات خاطئة مع أفراد عوائلهم، سيركعون في المستقبل للظالمين والأجانب من المعتدين، وأما الذين نشأوا وهم اعزّاء النفوس، فقد وقفوا بوجه كل من اراد سلب هويتهم الدينية أو الثقافية.

ان المعاملة الخشنة واللّامسؤولة لبعض العوائل مع الاطفال، ومعاملة بعض المعلمين السيئة في الاماكن التعليمية، من قبيل وصف الطفل بما لا يليق، طرده من مجلس الدرس، توجيه الكلمات الجارحة له وتوبيخه، الازراء به والاستهزاء منه، اعطاؤه درجةً أقل، محاولة الضغط عليه نفسياً، وأخيراً الحط من قيمته وشأنه، فان كل ذلك يجعل الطفل يعيش ضغوطاً نفسية مما قد تؤدي به الى السقوط في الحضيض.

فهل فكّرتم ما هو تصوّر الطفل عنكم في مثل هذه الحالات، وما هو رأيه فيكم؟ انه يراكم أُناساً ظالمين وفي الرأي مستبدّين، وعليه متسلطين، لا تقولون إلّا الباطل، تؤذوه دائماً وتحقّروه وتستهينوا به، مع أنكم لو رأيتم شخصاً من هذا النمط يظلم شخصاً آخر، يعتدي عليه ويريد ايذاؤه، لا شك في أنكم تحاولون تسليمه للجهة المسؤولة.

فإن اراد الكبار استعمال مثل هذا الاسلوب مع الصغار يمكن ان يصدر منهم في المستقبل نوع خاص من السلوك، وهو أن يستسلم الطفل منهم لذلك الإذلال ولا يقول شيئاً، فيكون حاله حال النار تحت الرماد، فإن حصل في الوقت المناسب ـ بعد ما يكبر ـ على ما يساعده على التمرّد والعصيان عصىٰ وتمرّد، بأن ينعكس ذلك على سلوكه فيكون محبّاً لأذىٰ الآخرين، غَضِباً، لا استقرار له في التفكير، قليل الرغبة والدقة فيما يتعلق بدراسته، وسيكون معقّداً

في البيت والمدرسة، وهذا السلوك سوف ينعكس عندما يتزوج في تصرّفه مع أطفاله ومع مَن حوله من الناس، وهذا القلق لو كان حاداً وفي أعلى درجاته سوف يؤدي بالانسان الى التمرّد على المجتمع، ذلك أن أكثر المجرمين كانوا في مراحل الطفولة فاقدي الشخصية، وكانوا يعيشون مثل هذه الضغوط النفسية.

ان التعامل مع الاطفال في المجتمع وفي المؤسسات التعليمية لو كان قائماً على أساس منهج التحرر الفكري المقرون بتكريمهم، واحياء العزّة في نفوسهم، والتعاطف مع مشاعرهم، لكان للمجتمع وضعاً آخر، فإن المجتمع الذي يتربّىٰ فيه أُناس من ذوي الشخصيات الكريمة سوف لا يكون فيه محلاً للمتمردّين والعصاة المجرمين.

فالسلوك مع الطفل القائم على الاساس المذكور يؤدي الى كون الطفل يشعر بأن له قدراً وشأناً[1]، وهذا الاحساس يساعده كثيراً في تكامل شخصيته دائماً، ويجعله يسعى في الحفاظ عليها بأن لا يعمل عملاً يفقدها بسببه.

فنحن وبعد التعرّف على اصول هذا الأمر ومناهجه والعمل بها نتمكن ببذل الجهد في ذلك من تغيير سلوكنا، وبطرح كل اسلوبٍ خاطىءٍ نخطوا خطوةً نحو الامام في انتهاج منهجٍ جديدٍ بنفسٍ يملؤها الأمل وذلك بإقامة علاقاتٍ صحيحةٍ في المنزل والمدرسة.

ان الاطفال كسائر البشر، لهم ما للكبار من كرامةٍ وعزة نفس، بل قد يشعرون بذلك قبل الكبار، فلابد من معاملتهم معاملةً نحب ان يعاملنا الغير بها،

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن النفس لجوهرة ثمينة من صانها رفعها ومن ابتذلها وضعها» غرر الحكم: ٣٥٢٧.

ليشعروا دائماً بالكرامة وعزة النفس، فإن البعض يقول: إن عداد الطفل في سلك الكبار أمر صعب، ونحن نسأل من هؤلاء، انّه كيف وُجد فيكم هذا الشعور؟ وما هو موقفكم لو كنتم مكانهم؟ ان التربية البنّاءة في نظر القرآن هي التي تـعطف نظر الانسان واهتمامه نحو تحصيله للقيم وعزة النفس، وان المؤمن هـو الذي يسعىٰ جاهداً في الحفاظ على تلك العزّة، لتحرره من جميع قيود العبودية لغير الله واستقامته، لينفع نفسه وينفع مجتمعه.

الإزراء بالأطفال وتحقيرهم

ان التعامل مع الاطفال والشباب حساس جداً ودقيق، فإن بعض سلوك الأب او الام او المعلم يهدد شخصية الطفل والشاب ويوجب تحقيرها من دون أن يريدوا ذلك أو يعلموا به.

اننا نعدّ يومياً بأقوالنا وسلوكنا ـ من حيث لا نشعر ـ وسائل بناء شخصية الطفل ليكون انساناً ذو شخصيةٍ قويةٍ وكريمة، أو يكـون ذو شـخصيةٍ هـزيلةٍ ومنحلّة.

نماذج من معاملة الإذلال والتحقير

١ ـ الإجابة عن السؤال الموجّه للطفل، وقطع الكلام عليه.

٢ ـ إرادءه الملابس والجورب والحذاء، وتلقيمه الطعام.

٣ ـ عدم حجز مكانٍ مستقلٍ له في السفر.

٤ ـ تقييم شخصيته على ضوء تقييم شخصية غيره من الاطفال وقياسه بهم.

٥ ـ توبيخه المستمر في جزئيات الامور والطعن بشخصيته.

٦ ـ القيام بالاعمال التي يعرف كيف يقوم بها.

٧ ـ معاملته معاملةً خشنة بصياحٍ وتهريج.

٨ ـ عدم الاهتمام او الاستماع التّام لكلامه.

٩ ـ الاستهزاء به وتصغيره.

١٠ ـ سدّ باب المعرفة بوجهه اذا أراد السؤال عن شيء، بقولنا له: اسكت إنه ليس من شأنك.

١١ ـ التأكيد على خطأه بين زملائه.

١٢ ـ اتباع اسلوب التفرقة بين الاطفال.

١٣ ـ تكليفه بما لا يطيق بأن نأمل منه النجاح في الامتحان بدرجةٍ عاليةٍ جداً.

١٤ ـ عدم الاهتمام بإقتراحاته.

١٥ ـ عدم بيان السبب له في بعض الأعمال بمستوى فهمه وادراكه.

١٦ ـ عدم الاهتمام بالوعد الذي يُعطىٰ له والوفاء به.

١٧ ـ الاجابة الناقصة لسلامه.

١٨ ـ تخويفه والتوعّد له، وإفهامه ضرورة التسليم لكل ما نقول له.

١٩ ـ عدم التسليم عليه.

٢٠ ـ عدم إعداد وسائل رفاهه ولعبه.

٢١ ـ اتخاذ القرار بدلاً عنه، وعدم اعطائه فرصة قيامه بأعماله الشخصية.

٢٢ ـ القيام باداء واجباته المدرسية بدلاً عنه.

٢٣ ـ مناداته بالفاظٍ وألقابٍ بذيئة.

٢٤ ـ عدم تلبية رغباته وطموحاته.

٢٥ ـ استعمال وسائله الشخصية والعابه من دون إذنه.

٢٦ ـ عدم الاهتمام به في الحفلات والمجالس الضيافية.

٢٧ ـ انتقاده المستمر وافشاء معايبه.

٢٨ ـ تحمّل المسؤولية التي ترتبط بالاطفال والشباب بدلاً عنهم.

٢٩ ـ اكراه الطفل والتشدد معه من اجل ان يقوم بعملٍ ما.

٣٠ ـ الاقباط بوجهه واتخاذ السلوك الصامت تجاهه الذي يكشف عن عدم احترامه.

٣١ ـ الترحم والاشفاق عليه من غير حاجة لذلك.

٣٢ ـ القول له بأنك لا تستطيع اتخاذ القرار بنفسك.

٣٣ ـ الافراط في المراقبة للطفل.

٣٤ ـ الافراط في النصيحة له.

٣٥ ـ المجادلة المستمرة مع الطفل فيما يتعلق بما يحبه الطفل من الطعام، وانه لابد أن يأكل كل شيء.

٣٦ ـ إناطة قيام الطفل بواجباته بشرط الترغيب والتشجيع الآني.

٣٧ ـ القول للطفل انك ضعيف في هذا الدرس ولا اعتقد بنجاحك، أو لا أعتقد أنك تستطيع القيام بهذا العمل.

٣٨ ـ إكراهه على قبول بعض الامور من دون أخذ رأيه في ذلك.

مراحل

تبلور الأخلاق لدى الاطفال والشباب

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«إن قوماً عبـدوا الله رهبـةً فتلك عبادة العبيـد،
وان قوماً عبـدوا الله رغبـةً فتلك عبادة التّجار،
وان قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار»[١]

أُسس التعلّم والعمل بالأُصول الأخلاقية

يمكن تبلور التعلم والعمل بالقيم الخلقية في مراحل ثلاث:

المرحلة الأُولى: إن طاعة الاطفال وعملهم بأُصول الاخلاق ـ من الفضائل او الرذائل ـ واقتداءهم بسلوك آبائهم ومعلّميهم تكون تابعاً لعواقب وآثار تلك الاصول الآنيّة على جسمهم، فمنشأ اطاعتهم لذلك في الواقع نابع من احساسهم باللّذة الحاصلة من ذلك أو الألم اللذين يكونا محسوسين لديهم، فإن الطفل لا يعرف ولا يهتم بما لتلك القيم والمبادىء من قيمة اعتبارية، بل ينظر اليها من منظار: صحيح وخطأ، حسن وقبيح، فيقيّم كل منها على اساس ما يلمسه من آثار كل واحدة من هذه القيم.

ومن علائم هذه المرحلة البارزة، اطاعة الطفل لذوي القدرة والسلطة واحترامه لهم ـ وهم الابوين والمعلمين ـ والسرّ في اطاعته لهم يكمن في الخوف من عقوبتهم، وفي الاقتراب من الشعور باللذة والسرور.

المرحلة الثانية: ان اطاعة الطفل للأُصول الاخلاقية انما يكون قائماً على اساس ميل ورغبة الاب، الام، المعلّم، الجماعة والمجتمع، فإن تأييد الآخرين

---

(١) نهج البلاغة.

أو انكارهم عليه يشدّ من عزمه أو يثبّطه، إلّا أنه يحاول الاطاعة العمياء من أجل اجتناب التوبيخ والانتقاد الذي يوجّه له من زملائه مثلاً، فإن العمل الصحيح في نظره هو العمل الموافق للميل العام، وانّ المهم لديه هو ما يفرضه ذلك الجمع لا الآثار الفعلية للعمل الذي يقوم به، فيكون السبب في تلك الطاعة هو موافقة الغير والحفاظ على المنزلة في المجتمع، فالهدف من القيام بفعلٍ ما يتبلور على اساس نوعٍ من الميل الجماعي ليكون بذلك مقبولاً، فيكون الحاكم على الموقف حينئذٍ هو الشعور بالعزة الجماعية والاجتماعية بدلاً من الشعور بالعزة الفردية، فالاهتمام بالميل العام للجماعة وتحسّس مظلوميّتها هو العامل المشجّع على القيام بالعمل والطاعة.

فالطاعة في الحقيقة أو العصيان والتمرّد على الاصول الخلقية مآله الى الشعور باللذة الجماعية، او الى الشعور بتحسس الألم نتيجة المظلومية للجماعة، وهذا غاية ما يتوخّى من الطاعة، مع الفارق بين هذ المرحلة والمرحلة السابقة، فإن الشعور الفردي هو الحاكم في تلك المرحلة، والشعور الجماعي هو الحاكم على احساس الطفل في هذه المرحلة.

المرحلة الثالثة: ان طاعة الاطفال والتزامهم بالأخلاق تكون نابعةً من ثقتهم الباطنية بأنفسهم، ليكون ما يقومون به صادراً عن رغبتهم لا بسبب الإكراه ـ من الخارج ـ سواء كان من المعلم والابوين ولأجل متابعة الجماعة، أو نابعاً من اهتمامه بما يوليه المجتمع لفعله من ردٍ أو قبول، بل تكون نفس القيم الخلقية والالتزام بها في السلوك مطلوبةً للإنسان، لثقته بأصالتها، فاختارها عن علمٍ تامٍ بها، فالسبب في قيامه بذلك العمل او السلوك انما هو نتيجة شوقه النابع من اختياره عن علم.

وهذا النحو من التعلم والطاعة من أقوم ما يبلور الادراك في ضرورة الالتزام بالأخلاق، فيكون ذلك سلوكاً خالداً لكونه نابعاً من صميم الانسان، خلافاً لما في المرحلتين السابقتين ـ الاستبداد الفردي والجماعي ـ حيث كان السبب في الالتزام عاملاً خارجياً.

ان للتعلّم والطاعة جذوراً في صميم قلب ونفس الانسان، ومثل هذاالالتزام بالضوابط يكون الانسان منفّذاً له عن طيب نفسٍ ورضاً تام، سواء كان هناك مَنْ يراقبه أولا، بل حتىٰ لو تغيّرت الظروف والعوامل الخارجية لا يرفع الانسان يده عن القبول والعمل بما يعتقده من القيم والمبادىء.

قال علي عليه السلام:

«من لم يعرف مضرّة الشر لم يقدر على الامتناع عنه، ومن لم يعرف منفعة الخير لم يقدر على العمل به»[1]

كيف يمكن إعداد عوامل الطاعة والالتزام

ان الانسان عندما يكون ملتزماً بالاخلاق ومطيعاً فمعنى ذلك أنه يعتقد بها من صميم قلبه، ولذا يحاول تطبيقها في حياته، ليتعرف من خلال ذلك على الأسباب والدواعي المستبطنة في تلك المقررات ويدركها[2].

إن المتوخّى في المرحلة الاولى هو الآثار والعواقب الآنيّة المترتبة على الفعل، وهي السبب في الخوف من العقوبة عند المخالفة، وفي الشعور باللذة والسرور عند الطاعة.

---

(١) غرر الحكم: ٩٠٠٨ و٩٠٠٩.

(٢) لا ينبغي الغفلة عن ان للوساوس الشيطانية في هذا المجال باباً مفتوحاً، بحيث لا يمنع الانسان التعرف على اسباب وادلة الأُمور عن القيام بالاعمال، كالطبيب الذي يعلم مفاسد ومضار الخمر ومع ذلك يشربه، ولذا لا ينبغي تجاهل دور العوامل الاجتماعية والنفسية الايجابية او السلبية في ذلك، وعلى اي حالٍ فلو أن شخصاً يعلم فوائد الالتزام بالضوابط ومع ذلك يخالفها فانه يستحق حينئذٍ التاديب، فانه يمكن ان يقوم بالتأديب في هذه المرحلة المجتمع او المتصدين لذلك، خلافاً للمرحلتين السابقتين فإن الداعي في الطاعة والالتزام هو الخوف من العقوبة أو الاكراه الفردي او الجماعي، بحيث لا يعلم الشخص السبب في اطاعته لتلك الضوابط، فان التاديب والعقوبة في تلك المرحلتين لا يكون صحيحاً ومنطقياً. هذا ومن جهة اخرى فإن المرحلة الثالثة قد يؤدي الالتزام فيها في الغالب الى كونها ملكةً في شخصية الانسان، فتكون حينئذٍ في افضل اساليب التعليم والالتزام، وان كان الاسلوب الاول والثاني في المرحلتين المتقدمتين لا يخلو من منفعة.

واما السبب في الالتزام في المرحلة الثانية فهو الخوف من فقدان المنزلة الاجتماعية، والشعور بالاعتزاز بين الزملاء والقرناء.

واما السبب في الطاعة والالتزام في المرحلة الثالثة فهو غيره في المرحلة الاولى والثانية، لكون الانسان يختار ما يناسب شأنه من السلوك بعد ان يعتقد صحته ويدرك ضرورته، فيقوم بممارسته من دون أيّ نوع من الترهيب أو الترغيب، حينها يشعر الانسان ضرورة معاملته للآخرين معاملةً يحب أن يعامله الآخرون مثلها.

ان عقل الانسان لابد أن يدرك أهمية وقيمة التزامه بالمقررات، ولابد له من أن يوفّق بين هذا الادراك وبين العمل بتلك المقررات، ومثل هذه النظرة التربوية تجعل أمر تعلّم فضائل الاخلاق لا ينحصر بإلقاء الابوين والمعلمين للألفاظ البسيطة من دون تجاوبٍ معها، بل تجعل من التربية والتعليم ـ اللذين يراعى فيهما الجو المناسب، ويؤخذ فيهما تكامل ومعرفة الطفل ومراحل تحوّله النفسي والعقلي بنظر الاعتبار، وذلك في جوٍّ يملأه الاحترام المتبادل للطفل، ويُعتمد فيه على شعوره بالكرامة ـ عاملين مساعدين على عمق الادراك لدىٰ الطفل واستقامته، مما يؤدي ذلك به في مقام العمل الى تكامله وتربيته اخلاقياً، وتبلور شخصيته.

لابد أن تتناسب المفاهيم الخلقية والقيم الانسانية مع مراحل تكامل الطفل العقلية ومستوىٰ إدراكه، وذلك باستخدام الأساليب العملية في مختلف مجالات الحياة ـ في البيت والمدرسة ـ، ولا ينبغي لنا أن نتأمل من الطفل سلوكاً مشابهاً لسلوكنا ما لم نطمئن بمستوىٰ إدراكه الذي يتناسب مع قدرته العقلية.

ولذا لا ينبغي لوم الطفل أو توبيخه ـ بما يصدر منه من سلوكٍ مخالفٍ للاخلاق، أولكونه كاذباً ـ قبل احراز تكامله العقلي والعاطفي في ادراكه للمفاهيم الخلقية، وتمييزه للامور الحسية والمفاهيم الانتزاعية، فإن أغلب سلوك الاطفال في هذه السنين لا يكون عن سوء نيّتهم أو خبث بواطنهم، وانما يريدون بذلك إلفات الأنظار اليهم.

ان طاعة الاطفال للمقرّرات والتزامهم بالقيم الاخلاقية يستتبع لمسهم عملياً لنتائج ذلك الالتزام، ولذا لابد من تعليم الاطفال وتربيتهم على المفاهيم الاخلاقية ـ كالصدق، وعدم الكذب والمكر والحيلة، الالتزام والنظام ـ عن طريق القصص والحكايات اللطيفة والتربوية، وتعريفهم دور تلك المفاهيم وآثارها العملية على سلوكهم، فإنه ليس في بيان ذلك لوحده أثر، بل لابد من اختلاط الطفل مع أقرانه ليتعرف ـ في جوٍ مناسب يحكمه الاحترام ـ على حل مشاكله بصورةٍ عمليةٍ، ليدرك ضرورة الالتزام بالضوابط ويعتقد بها، ويستقيم على العمل بها.

ترسيخ المفاهيم الأخلاقية

ان تعلم وادراك الامور شيء، والاعتقاد بها والعمل على طبقها شيء آخر، ولذا فإن تعلّم الاطفال لاصول الأخلاق لو كان المنهج المتبع فيه صحيحاً كان ذلك بمنزلة اداء نصف المهمّة، ونصفها الآخر يكمن في الاعتقاد والعمل بها.

فإنه لا ينبغي أن يتصور متصورٌ أن مجرّد الالفاظ التي يستعملها المعلم في الدرس تجعل من الطفل ملتزماً بما علمه ليحاول تطبيقه.

ان المهم في هذا المجال هو تخليص الطفل من التجبّر والتفرعن المفروضين عليه من قبل شخصٍ أو جماعة، ومحاولة جرّه للحضور في ما يطرح على بساط البحث في المجتمع، وإعداده من اللّحاظين العقلي والعملي للدخول في المعترك لحلّ المشاكل، في جوٍّ يملؤه الحب والاحترام، وتتلافح فيه الأفكار.

فلندع الاطفال يشعرون بقيمة المبادىء بأنفسهم، ونفسح لهم مجال العمل والتفكير في الامور، ونعطيهم فرصة حضور المناقشات والمحاورات البنّاءة، ليتمكّنوا من الادراك والاعتقاد ـ جرّاء ارشاد المعلم ـ ومن ثم الالتزام عملياً بإجراء تلك الضوابط، بحيث يترسخ في نفوسهم ذلك.

ومن هنا فإن من المحتّم على الأبوين والمعلمين فسح المجال لاغتنام مثل هذه الفرص البنّاءة، ليتعرّف الاطفال على التطوّر الجماعي، ويدركوا الميل العام لتلك الجماعة، ويتمكنوا من الالتزام عملاً ـ بعد معرفتهم أهمية ما اعتقدوه ـ فيما تسنح لهم الفرصة بذلك، لأن الاطفال يتاثرون وبشدة بسلوك المعلمين وأقوالهم، وهكذا يتأثرون بسلوك اقرانهم.

ان المعلمين يتمكنون من إعداد الظروف المناسبة للدخول في النقاش الجماعي، واداء مسؤوليتهم في الارشاد والتعليم، بحيث يتمكن الاطفال بأنفسهم ـ وبعد انتهاز الفرص في الظروف المناسبة ـ من التعرّف على ادلّة واسباب كل فعل، وانه لابد من القيام به بهذا النحو دون ذاك، وبذلك سيشاركون في تكاملهم الخلقي ورقيّهم.

ان من دواعي الشعور بالمسؤولية، الاحترام والالتزام بالضوابط والاصول الأخلاقية، ولا يتيسّر ذلك الشعور إلّا في ظل ادراك ضرورة الالتزام

بتلك الاصول، ليعرف الانسان قيمة تلك المبادىء ويتداخله السرور عند الالتزام بها، وهذا انما يقوم له ساق اذا كان في جوٍّ مفعمٍ بتبادل الاحترام والمعلومات والمشاعر، بعيداً عن الإكراه والاجبار، بنحوٍ يشعر الاطفال ان لهم قدرة الادراك كما للكبار ذلك، وانهم يتمكنون من تطبيقه عند الضرورة.

ان في اقتداء الاطفال ببعضهم الآخر، وتوجيه ذلك من قبل المعلم الأثر البالغ في تكامل الاطفال، ومن عوامل توجيه الطفل نحو العمل بالمبادىء الأخلاقية وتبلور شخصيته ترغيب الابوين واعطاء الأهمية لحضور الطفل في المنقاشات الاجتماعيةوالعائلية، واعطاء المسؤولية له في الظروف الطبيعية للحياة.

ان الابوين والمعلمين يمكنهم اصلاح سلوك الاطفال من الناحية الاخلاقية باستعمال المناهج التعليمية المناسبة، وبالاشارة الى النكات الأخلاقية، وبذلك يرفعوهم من مستواهم الى مراحل ارفع، فإن المعلم في سلوكه أُسوة يقتدي به الاطفال في تجاربهم العملية، حيث أن للتجارب النافعة التي يمارسها مَنْ حولهم ـ سواء في المدرسة أو البيت، وفي الظروف الطبيعية ـ الأثر البالغ في تبلور شخصياتهم وفي ايجاد دواعي الالتزام بالقيم والمبادىء الأفضل في نفوسهم.

ان التنافس الصحيح بين الاطفال يزيد من روح التعاون بينهم، ويؤدي الى اكتسابهم تجارب مفيدةٍ أكثر ايجابيةً.

ان ما يجهّز الاطفال بسلاح الفكر ويجعلهم يشاركون على شكل جماعات في الامور الثقافية هو ما يطرحه الابوين او المعلمين للأطفال من مفاهيم وقيم خلقيةٍ اثناء قيامهم بالعمل، والافضل طرح اهم ما يحتاجه

الاطفال من امورٍ على بساط البحث والنقاش، فإن أهم ما ينبغي الاهتمام به هو مستوىٰ ادراك الطفل والمراحل التي مرّ بها في تكـامله، وهكـذا الوقت الذي يتعلم فيه من اجل ترسيخه تدريجياً في نفسه.

يحاول الآباء والمعلمون في الغالب اغتنام الفرص في بيان بعض الامور الضرورية والمسائل الاخلاقية عن طريق الحـوار المـباشر بـصورة نـصائح ومواعظ مكررة، لغرض تعليمهم أو لأجـل فـرضها عـليهم، غـافلين عـن ان للاطفال اختيار السلوك الصحيح بأنفسهم، بعد ان يعرفوا السر في ذلك، ليُقبلوا على العمل به برغبةٍ أكثر، لا أن نملي عليهم ذلك ونكرههم على القبول به.

ان الكلام في غير مواقعه لا أثر له[1]، ولا يعلّم الطفل منطق الاستدلال لو كان كذلك، لأن فيه جهة من جهات الإكراه والضغط من الخـارج، لذا يـرجـع سلوك الاطفال وبعد مدّة الى حالته الأُولى، وهكذا لا أثر للعقوبة أو التـرغيب في مثل هذه الظروف التي يحكمها الاكراه لان الشخص لا يمكنه السيطرة على القوة العقلية والنفسية، وليس له دور في كشف ومعرفة القضايا أو الاسـتدلال عليها؛ ولذا ما دام منطق القوة ـ المفروض من قبل شخصٍ أو جـماعةٍ أو مـن المجتمع ـ يحكم سلوك الطفل تراه يضطرّ للقيام بالعمل على رؤوس الأشهاد، وبمجرد تغيّر الوضع بأن ينتفي الاكراه المفروض من الشخص أو الجماعة، تراه لا يلتزم برعاية الضوابط أبداً.

مواجهة الطفل لنتائج سلوكه الصحيح

ان احد عوامل تعلّم الطفل وطاعته عن معرفةٍ ووعي هو مواجـهته لمـا

---

(١) كالحديث معه تحت الشمس أو في البرد أو عندما يكون جائعاً.

يترتب على سلوكه من آثار طبيعيةٍ صحيحة، فالطفل الذي لا يستيقض من نومه مبكراً لا محالة يتأخر في الذهاب الى المدرسة، والطفل الذي لا يقوم بأداء واجباته المدرسية سيضطر الى الجواب عن سلوكه هذا.

ان الارشاد المكرر، القيام بأعمال الطفل بدلاً عنه، الترغيب والترهيب المنقطع والآني، كل ذلك ليس له اثراً مطلوباً.

انه ومن أجل تطبيق المنهج الصحيح لابد من الصبر والتحمّل وانشراح الصدر والحلم والحزم والحب والرأفة.

حاولوا أن تفسحوا المجال للطفل بأن يكون ملتزماً بالضوابط في أعماله، وذلك بأن لا نملي عليه طرق حلٍ مجملةٍ، فاذا واجهنا من الطفل سلوكاً قبيحاً ورد فعل خاطىء. بأن كان غير ملتزمٍ بالضوابط ـ علينا ان لا نفقد صوابنا بسرعة، بل لابد من التحرّز عن ابداء رد فعلٍ سريع ومعاملته بهدوءٍ واحترام، فإن من العوامل الهامة التي تساعد على معرفة السلوك الصحيح هو اجتناب العقوبة التي تنبىء عن النظر الصحيح، فإنه لا ينبغي أن يشعر الطفل بالتحقير جرّاء ما يقوم به من عملٍ قبيح.

إن الاطفال عندما يريدوا أن يتعلّموا شيئاً فإن من الطبيعي وقوع الخطأ في ما يقومون به، فإنه كما ينبغي عدّ ذلك منهم امراً طبيعياً عند تعلّمهم لمختلف المسائل لابدّ من عدّ ذلك أمراً طبيعياً أيضاً عند تعلّمهم للامور الخلقية والتربوية، لأن كل خطأ بالنسبة للأطفال هو في حكم اكتساب تجربةٍ جديدة، وليس بمعنىٰ التمرّد على اوامر الوالدين والمعلمين، وما يحصل عليه الاطفال من نتائج لتجاربهم تارةً يكون افرازاً طبيعياً لاحتكاكهم بالواقع، واخرى يكون نتيجة الدروس التي يتعلّمونها من الواقع الاجتماعي، وذلك انه بمجرد ما

يحصل الطفل او الشاب على فرصةٍ للتفكير في سلوكه يحاول ان يـربط بـين ذلك السلوك وبين ما يترتبِ عليه من آثار، ولذا يتعيّن على الآباء والمعلمين في البيت والمدرسة تمهيد الظروف التي يتمكن الاطفال فيها من التفكير الصحيح في سلوكهم، من اجل ان يتعلموا ويلتزموا بأُصول الأخلاق، والذي ينبغي وقبل العمل بهذا المنهج هو توطيد علاقتكم مع الاطفال باحترامهم والعطف عـليهم، فإن طريقة الكلام وايقاعه بأيّ لحنٍ كان، ينمّ عن كون المعلّم رحيماً وعـطوفاً أولا، والذي ينبغي هو كون الكلام حـازماً ومشـوباً بـالعطف، ليـفكّر الطـفل ـ وبسبب ما يتداخله من الابتهاج ـ بعواقب سلوكه واعماله ولا ينبغي ان يشعر الطفل في هذه الحالة بأي نوعٍ من ضيق الصدر أو عدم الارتياح بحيث يـؤثر ذلك تاثيراً سلبياً على كيفية النتيجة التي يصل اليها.

ان السلوك الخشن مع الاطفال يخلّف آثاراً نفسية على الطفل ويخدش عواطفه، ويؤدي به الى التمرّد والعصيان واتـخاذ المـوقف المـضاد للـمقابلة بالمثل، مما يمنع ذلك من لجوء الطفل الى التفكير بسلوكه تفكيراً صحيحاً.

ان الذي يدعو لشعور الطفل بالابتهاج والحرية وجـود الجـو العـاطفي الذي يملأه الاحترام، والذي يجعل من الطـفل واثـقاً بـنفسه ومـطمئن البـال، وبذلك يتمكن وبشكلٍ طبيعي من التفكير في صحيح سلوكه وسقيمه، ليتوصّل الى نتائج مطلوبة.

ان ما يؤدي الى صدور ردود فعلٍ غير مدروسةٍ وسلوكٍ ارتـجالي مـن الطفل هو ما يكون بسبب ضعف الشخصية والألم النفسي الذي قد يوجهه بعض الآباء والمعلمين بمعاملتهم القاسية للطفل، بـحيث يـؤدي بـه ذلك الى اتـخاذ موقفٍ دفاعي بدلاً من التفكير المنطقي سلوكه، إذ أنه لو حصل عـلى فـرصةٍ

كافيةٍ للتفكير سوف يفرح بسلوكه الحسن ويستاء للقبيح من سلوكه، ولذا يحاول ان يربط بين سلوكه وبين ما يترتب عليه من آثار ليحصل بذلك على نتيجةٍ منطقيةٍ صحيحة، ويؤدي ذلك الى ترغيبه في العمل او الى توقّفه وامتناعه عنه.

ان ما يساعد على ايجاد جوٍّ مناسب لتفكير الطفل في سلوكه هو سعة صدورنا وسكوتنا عنه، فانه لابد من التخلية بينه وبين ما يصل اليه من نتيجة، لان اتخاذ القرار ـ سواء كان باللسان أو بالاشارة أو بتغيير ملامح الوجه ـ فيما يتعلق بسلوك الطفل يسلب منه فرصة التفكير، وحينها لا يصل الى نتيجةٍ معقولة، ويؤدي مثل هذا السلوك مع الطفل الى كون سلوكه ارتجالياً وعلى شكل رد فعل، وليس للتفكير واتخاذ القرار فيه مجال، وهذا النحو من التعلّم لا يكون عن وعي واختيارٍ لكون العامل الخارجي هو المؤثر الأساسي فيه، وهذا بخلاف ما يكون فيه العامل الباطني ـ أعني الارادة ـ دخيلاً في التوصل الى النتيجة النهائية لتقييم السلوك، والتي تؤدي الى اختيار السلوك الأفضل.

ان الهدوء وعدم الانفعال السريع في مقابل سلوك الطفل يساعده كثيراً على شعوره بالاطمئنان ليجد فرصةٍ يربط فيها بين سلوكه الحسن او القبيح مع ما يتوصل اليه من نتائج صحيحة تتعلق بذلك السلوك الذي تعلّمه بسبب الاحتكاك بواقع الحياة الاجتماعية، وبذلك يتخذ القرار بشأن المزيد من التجارب الايجابية والمثمرة في سبيل تغيير السلوك نحو الافضل.

انه لابد من التحلّي بالصبر، وفسح المجال للأطفال ليتعرفوا على ما يترتب على سلوكهم، والخوف على الطفل في مثل هذه الامور ليس في محلّه.

إن الإفراط في إرشاد الطفل ونصحه الدائم يسلب من السلوك اثره، ويؤخّر من توصل الطفل الى النتائج المطلوبة بعد التفكير في سلوكه، فإن الوقت المناسب للحديث مع الطفل هو الوقت الذي يكون فيه متشوقاً لسماع الحديث فيه، ولابد من الاختصار في المقال وعدم الدخول في القيل والقال، وعدم الاعتناء بقبيح الكلام[1].

انه من الضروري أحياناً ترك الاطفال لوحدهم لكي يفكروا في عواقب افعالهم، ثم إن الجوّ الذي يملأه الحب والاحترام يكون سبباً في اتخاذ الاطفال القرار فيما يتعلق بمشاكلهم بحيث يتمكّنوا من حلّها بأنفسهم.

حاولوا ـ قدر الامكان ـ اعطاء الاطفال الحرية وحق الانتخاب، واقبلوا ما يتّخذوه من قرارات، وعاملوهم بالعفو والصفح[2]، وحاولوا التغافل عمّا يعملون، فإنه المنهج الصحيح الذي يعطي الاطفال فرصة اكتساب التجربة[3]. انه لابد من العمل بسيرة العدل والانصاف، والحزم والرأفة، لتتهيأ للاطفال بذلك ارضية التفكير وتجديد النظر في سلوكهم، ويشعروا بالمسؤولية تجاه ما يقومون به، فإنهم عندما يشعرون بعدم الاكراه والاجبار سوف يكفّون عن عمل القبيح.

إن مواجهة الطفل لآثار سلوكه انما يكون صحيحاً وناجحاً إذا لم نستعمل

---

(١) قال تعالى: (واذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً) الفرقان: ٧٢.

(٢) قال تعالى: «فاصفح الصفح الجميل» وقال تعالى (فاعفوا واصفحوا) الحجر: ٨٥، البقرة: ١٠٩.

(٣) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «المؤمن نصفه تغافل» غرر الحكم، وقال عليه السلام: «من اشرف أخلاق الكريم تغافله عما يعلم» نهج البلاغة.

معه اسلوب القوة فإنه لابد ان تكون الاعمال والعلاقات معهم قائمةٍ على اساس حسن الظن، وليكن لكم معهم سلوكاً صحيحاً وطريقةً حميدة[1].

توجيه الأسئلة للطفل

ومن المناهج الاخرى التي تستخدم لتقوية الادراك وتكامل قوة الاستدلال لدىٰ الطفل هو طرح الاسئلة عليهم بالنحو الذي كان ابراهيم عليه السلام يسال به قومه ، حيث كان يُثبت لهم فساد عقائدهم وبطلانها عن طريق الاستدلال المنطقي بالامور المحسوسة، وكان يضطرّهم الى التفكير ﴿*فرجعوا الى أنفسهم*﴾[2].

ان طرح الاسئلة على الطفل اثناء التزامه بالضوابط ـ بشكلٍ طبيعيٍ في المجالس الجماعية التي قد يتداخل الرعب فيها نفس الطفل ـ يكون عاملاً مساعداً على إلجاء الطفل او الشاب الى التفكير، لان الاستدلال على امرٍ هو في الواقع سبب لإثبات الشخصية، بحيث لو تمكّن المعلم من إدارة المجلس بصورةٍ صحيحةٍ لشعر كل واحدٍ من التلاميذ بأن له شخصية، تلك الشخصية التي لا تثبت إلّا بالعمل بتلك المبادىء والقيم.

ان اعطاء الطفل فرصة الحديث والمناقشة، ومعرفة رأيه بطرح الاسئلة ـ من قبيل: «ما هو رأيك؟ وما هو تصورّك، وأنه لو كنت في مثل هذه الظروف ما كنت صانعاً؟ أو لو عاملوك مثل هذه المعاملة ما كان شعورك؟ ـ يقوي اساس

---

(١) ان الترغيب والترهيب المنقطع والآني يسد الطريق بوجه اتخاذ الطفل القرار المناسب لسلوك الطفل، ويمنعه من التفكير فيه وفي ما يترتب عليه.

(٢) الأنبياء: ٦٤.

الادراك لأُصول المبادىء الاخلاقية لدىٰ الاطفال، ومن اجل ان تتحول تلك المبادىء الى سلوكٍ في حياة للأطفال، فانه لا ظرف أكثر تاثيراً من الجو الذي يملأه الحب والانسجام بين المعلمين أو الابوين مع سائر افراد العائلة، فان ذلك يكون سبباً في الشعور لدىٰ الجميع بعزةِ النفس والكرامة، لان الشعور بالكرامة وعزة النفس من حاجيات الفطرة الانسانية السليمة، وجميع المحاولات والمساعي للانسان في الحياة انما هي من أجل رفع مثل تلك الحاجيات، ولا تتبلور هذه الكرامة والعزة إلّا في ظل الالتزام بالمبادىء والقيم الاخلاقية.

إن الجو الذي يكون فيه التشجيع والترغيب للاطفال حاكماً، والذي يملأه الحب والانسجام يزيد من حب الاطفال بعضهم لبعض وتتوثق الصداقة بينهم، بحيث يتحول ذلك الى شعور جماعي بضرورة العمل بالقيم الاخلاقية، والى ادراكٍ جماعي للأسباب التي دعتهم الى العمل بذلك.

ان الإبداع في طرح الاسئلة على الطفل يضطرّه الى التفكير وتحليل الامور والقضايا ويشوّقه لمعرفة ذلك، ولهذا المنهج دور في توجيه عقل الطفل، وفي تقوية البنية الفكرية لديه، وبذلك يتعرّف الطفل على امور قد لمسها بالتجربة، ويتعرّف من خلالها على ادراك مشاعر الآخرين جيداً، ويتوصّل من خلالها على طرق حلٍ لمشاكله ويقف على ضرورة الالتزام بالقيم والمبادىء، وحيث ان هذا الأمر كان المنهج المتبع فيه منهجاً صحيحاً، وخالياً عن الشعور بالاكراه والضغط، والعمل به وقع عن اختيارٍ وارادةٍ تامين، سيكون السلوك النابع عن الالتزام به سلوكاً مستقيماً وصحيحاً، لا يتغيّر بمضي الزمان، ولا يتغيّر بتغيّر الظروف والأحوال، والذي ينبغي على الابوين في البيت والمعلمين في المدرسة أن يتّخذوا منهجاً مجرّداً عن أي نوعٍ من الاكراه عندما يريدون تعليم

الاطفال وتربيتهم على الاخلاق والالتزام، ليلعب الاطفال دورهم الخطير في الالتزام بالمبادىء، إذ ليس المعلمون والآباء الّا مرشدون لهم في مختلف الظروف، وظيفتهم في ذلك اعداد الارضية المناسبة للاطفال.

لقد كان بناء الماضين قائماً على إكراه التلميذ على كل شيء حتى في الترغيب والتشجيع، معللين ذلك بأن الطفل يحب اللعب واللهو، ويتهرّب من الالتزام بالضوابط ومن اداء واجباته، فكان منهج تحريك حس اشتياق الطفل للتعلم يواجه مشكلةً، هذا مضافاً الى ان الطفل أو الشاب ـ كل منهما في مرحلته الخاصة به ـ يحبّان التطلّع والمعرفة والعمل اكثر من أي مرحلةٍ اخرى ويشتقان اليه، وبناءاً على ذلك، فانه لا ينبغي اكراه الطفل على التعلّم أو الالتزام[1] بأيّ شيء من القيم قبل ان تكون ارضيّته من الناحية النفسية والعاطفية ممهدةً، أو كان للطفل رغبة في ذلك، ولا تتحقق تلك الرغبة وذلك الميل للطاعة والالتزام بأيٍّ من الضوابط والقيم إلّا في ظلّ شعور الطفل بالكرامة وعزّة النفس، من قبيل الضوابط التي تضعها المدرسة للتلاميذ.

ان المدرسة تدعو الطفل والشاب بشكل طبيعي ليوفّقا بين سلوكهما وبين آمال الحياة ومتطلّباتها، ليستقيم سلوكهما بذلك.

ان علاقات التلاميذ انما تستحكم إذا طبّقوا المبادىء الاخلاقية والضوابط المدرسية بشكلٍ جماعي بفكرٍ واحد، في محيط يملأه الود والاحترام، ليتعرّفوا أكثر على الاصول والضوابط ويعيشوها في حياتهم اليومية.

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فان القلب إذا أُكره عمى»، نهج البلاغة، الكلمة: ١٩٣.

ان حس التعاون بين التلاميذ وبذل الجهد الجماعي لا يتيسّر إلّا في ظل العلاقات الصحيحة وارشاد المعلمين، وبذلك تبرز طاقاتهم وقدرة الابداع لكل واحدٍ من التلاميذ في حل المشاكل وفي علاقاتهم مع أنفسهم ومع غيرهم من الناس. وفي مثل هذه الظروف لا يكون جهد كل واحدٍ من التلاميذ التفوّق على غيره ليبرز ويشار اليه بالبنان، أويعدّ غيره من التلاميذ فاشلاً وغير ناجحٍ في الحياة، ذلك أن الحجر الاساس في الحياة الاجتماعية عندهم هو ادراك المشاعر وحس التعاون والاحترام المتبادل، فيسعىٰ كل واحدٍ منهم وحسب طاقاته واستعداده ان يكون مع الجماعة في طريق الحفاظ على كرامته، ويحاول ان يكون في خدمة الجماعة ووحدتها في ظل جو العلاقات الصحيحة بينه وبين الآخرين، ومثل هؤلاء التلاميذ يتكاملون بحفاظهم على كرامتهم، ليكونوا في المستقبل أُناساً أحراراً وأعزاء، بحيث يتمكنون من قيادة المجتمع نحو نيل الاهداف والقيم الاسلامية السامية، ويكون لهم دور فعّال وبنّاء ـ ان شاء الله تعالىٰ ـ في تمهيد الأرضية للمصلح الأكبر ولي الله الأعظم الحجة القائم ـ عجّل الله تعالى فرجه ـ ويكونوا من جنوده.

دور وآثار

التقييم المدرسي على شخصية الأطفال

«كتب الحسن والحسين عليهما السلام لوحاً وعرضاه على امهما لتحكم أيهما أحسن خطاً وأشدّ قوةً، فنظرت فيه امهما فما ارادت كسر خاطرهما فقالت: يا قرّتي عيني إني اقطع قلادتي على رأسكما فأيكما يلتقط من لؤلؤها أكثر كان خطّه أحسن وقوّته أكثر ...».

بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٩١

الهدف من التقييم وآثاره على شخصية الأطفال

عندما يدخل الاطفال المدرسة الابتدائية يكون الأبـوين فـي الغـالب قلقين لوضع اطفالهم الدراسي، ويكون اكبر همّهم وأملهم هو نـجاح اطـفالهم وتفوّقهم بدرجاتٍ عالية، هذا ومن جهةٍ اخـرى، تـرى المـعلمين ومسـؤولي المدارس يصرفون جهودهم من اجل نجاح التلاميذ المـتفوّقين خـاصة فـي امتحانات الفصول الثلاثة والامتحان النهائي، لتصوّرهم أن ملاك النجاح هـو حصول التلميذ على أعلى درجةٍ في الامتحان، والمدارس تعتبر الهـدف مـن الامتحان هو تعيين التلاميذ الجيدين، لتصورهم ان التلميذ المتفوّق هـو الذي يحصل على أعلى درجةٍ في الامتحان، ولذا تتخذ علاقات كلٍ من المـعلمين وأولياء امور التلاميذ نحواً خاصاً بعد انتهاء الامتحانات، وبعبارةٍ اخرى: يكون للعلاقات مع التلاميذ بعد تعيين نتيجة الامتحان وتقييم التلميذ شكلاً جديداً.

ان للتكامل العلمي والتعليمي وتقييم التطور الدراسي للتلاميذ في بادىء الأمر أهميةً بالغةً، وهذا الأمر يكون وبشكلٍ طبيعي سبباً في تـقييم الشـخص وكونه تلميذاً ناجحاً، لكونه قد حصل على درجاتٍ عاليةٍ في دروسـه، وأمـا التلميذ الفاشل فهو الذي لا يتمكن من كسب ذلك.

ولكن لا تخفىٰ العلاقة بين الدرجات الدراسية وبـين التـقدم الدراسـي للتلميذ، فالمهم هو ان مثل هذا السلوك ومنهج التفكير للآباء والمعلمين يوجّه لشخصيات الاطفال ضربةً قاصمة، ويقف سداً بـوجه تـقدم ونـجاح التـلميذ وتكامله في مختلف المجالات.

وقد يكون لمدراء المدارس والمعلمين بعد الامـتحانات أهـدافـاً غـير

صحيحةٍ، لسعي أكثرهم تربية نخبةً من التلاميذ يتمكنون من التنافس مع تلاميذ مراكز التعليم الاخرى.

ان الآباء يعتبرون الامتحان سداً لابد من تجاوزه بأي نحوٍ كان بنجاحٍ تام، وهم على تصور ان اطفالهم لو لم يتمكنوا من الاتيان بدرجة الامتحان التي يرغبوا فيها فسوف تذهب آمالهم ادراج الرياح، ولذا تتبلور شخصية الطفل لديهم في محور الدرجة العالية جداً، فإن لم يأت الطفل بها بنجاحٍ فهو في نظر أبويه طفل متخلّف علمياً، وينظران اليه دائماً نظرة تحقير وازدراء، وقد سرىٰ هذا الأمر الى المعلمين أيضاً بحيث صاروا لا يهتمّون بالاطفال الضعفاء في الدرس.

ولذا ترى ارتباط شخصية الطفل بنجاحه وكسبه للدرجة العالية ارتباطاً عجيباً منذ ان ينفصل عن حجر اُمه ويدخل المدرسة، فالدرجة في الواقع هي المفصحة والمبيّنة لشخصية الطفل وقدره، ويترتب عليها سلوك المعلمين من رضاهم عن الطفل وعدم رضاهم.

والاهم من ذلك ان معاملة الأبوين في البيت مع الطفل تكون خاضعة لوضعه الدراسي، بحيث يكون الميزان في علاقتهما به عاطفياً ونظرتهما اليه فيما يتعلق بشخصيته هو كسبه للدرجة العالية، بنحوٍ لو لم يتمكن طفلهما من الحصول على تلك الدرجة لكان سلوكهما معه سلوكاً مشيناً له، بحيث يشعر الطفل بعدم كفاءته، ومثل هذه المعاملة تكون سبباً في تهاونه في جميع الدروس، لشعوره بأن جميع محاولاته للنجاح لا أثر لها، ولتصوّره أنه انسان مهزوم وفاشل، تلك الهزيمة التي توجه ضربةً قاصمةً لشخصيته وتمنعه من النجاح في دروسه، ولو كان يذهب الى المدرسةويدرس فليس ذلك الّا من

أجل ما توجّه اليه من ضغوط عائلية أو معيشية، ونتيجة مثل هذه الدراسة معلومة مسبقاً.

ولذا فلقد وجدنا الكثير من التلاميذ الذين فقدوا الهدف من دراستهم، ومن ثم فقدوا الكفاءة والقدرة على النجاح، فاستمروا في الدراسة على عدم رغبتهم في ذلك الى آخر السنة الدراسية، ووجدنا ايضاً الكثير من الآباء الذين لهم دور غير ارادي في تضعيف رغبة أبنائهم ـ في بذل جهدٍ أكبر ـ بسبب معاملتهم التي لا يعلمون أن لها اثراً مباشراً في سلب الرغبة والثقة ـ من ابنائهم ـ بأنفسهم، وأخيراً يكون ذلك سبباً في انهيار الوضع المدرسي لهم، وذلك لسريان التقييم الدراسي الى تقييم شخصيتهم.

ان أحد دواعي التقييم المدرسي والامتحانات هو زرع الرغبة في نفوس التلاميذ من الناحية الدراسية لبذل جهدٍ أكبر، ولكن ذلك وللأسف أعطى نتيجةً معاكسةً تماماً للغرض المطلوب، أدّت الى سلب الرغبة من الطفل في المجال الدراسي، ذلك لان نظرة الآخرين له من زاوية الدرجات الامتحانية سلبت منه الرغبة وجعلته متهاوناً في الدراسة، بحيث صار يشعر بعدم كفاءته وقدرته على القيام بشيء، وبذلك شد عن الهدف الرحال وابتعد تماماً.

يحاول الآباء والمعلّمون في البيت والمدرسة أن يصنعوا من مثل هؤلاء التلاميذ ـ باستعمال مختلف المناهج من قبيل الاكراه والترغيب والتوبيخ المستمر والكلام الجارح ـ أُناساً يحبّون الدراسة والمدرسة، غافلين عن أنّهم بذلك يسلبون الرغبة من الاطفال من حيث لا يشعرون، فالتلميذ الذي لا يتمكن من كسب درجة نجاحٍ عاليةٍ قد سلبوا منه بذلك القدرة على النجاح، وسلبوا من الثقة بنفسه وقضوا على كرامته، لأنه مهما حاول تحقيق رغباتنا

وآمالنا ما تمكّن، ولذا تراه يشعر في نفسه الحقارة ويستهين بكفاءته، ويتهاون في اداء واجباته المدرسية، ويكون مرهقاً نفسيّاً، فهو كلما اراد القيام باداء واجبه يواجه الشعور باليأس وفقدان الكفاءة لعلمه بأن جميع ما يقوم به من محاولات يواجه الفشل، ولا يلبي رغبات أبويه أو يحقق آمالهما.

ان الاهتمام بقدرة الطفل ومدىٰ تحمّله ومستواه له الأثر البالغ في تقييم وضعه الدراسي، قال الله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفساً إلّا وُسْعَها﴾[1].

ان مراكز التعليم التي يكون فيها الغرض تربية جماعة من التلاميذ الأذكياء والمتفوّقين بحيث تنصرف انظار التلاميذ والمعلمين والآباء نحو هذه الثلة من التلاميذ، وتكون كل التشجيعات من خطّ شخصٍ او شخصين فقط، ويُغفل عن تلاميذ الصف الآخرين تماماً، وعن عواقب مثل هذا التقييم الوخيمة، لأن الاحترام الخاص في المآل سيكون من نصيب شخصٍ أو شخصين من كل صف ومرحلة دراسية، ويُهمل سائر التلاميذ من هذه الجهة، هذا ومن جهةٍ اخرى يشعر سائر من بذل جهده ـ قدر وسعه ـ من التلاميذ أن ما بذل من جهدٍ لا فائدة فيه لأنه لا يتمكن من التنافس مع اولئك المتفوّقين، مما يكون ذلك سبباً في تهاونه في الدراسة تدريجياً، في حال أننا لو أخذنا جميع ماله دخل في تقييمنا بنظر الاعتبار لعلمنا ان ما بذله كل واحدٍ من التلاميذ كان يتناسب مع طاقاته واستعداده، وان ما بذله من جهدٍ قابلٌ للتقدير.

ان السبب في اهتمام الوالدين والمعلمين بالتلميذ يعود ـ في الوقت الحاضر ـ الى النظر من زاوية الدرجات الامتحانية، التي هي كل شيء في نظرهم، فهي كرامة الطفل والمفصح عن قيمته وقدره، وذلك انه بمجرد التقييم

---

(١) البقرة: ٢٨٦.

لمستوىٰ التلميذ العلمي تكون شخصيته تحت السؤال، فلابد من الانصاف في الحكم عليه، بأن نضع جهود التلاميذ ومستوىٰ تحملهم وقدرتهم في كفّتي ميزان، فإنه قد يكسب من بذل جهداً أكبر درجةً تقل عن درجة شخصٍ آخر لم يبذل مثل ذلك الجهد، ولكن ذاك حصل على هذه الدرجة بما يتناسب مع ما بذل من جهد، وهذا حصل على درجة أعلى بما يناسب جهده، فإننا لو حكمنا بينهما بنحوٍ واحدٍ لم يكن ذلك صحيحاً، ولو اغمضنا النظر عن ما بينهما من الفرق استتبع ذلك عواقباً وخيمةً أقلها تهاون التلميذ وعدم اهتمامه بالدراسة، ومنشأ كل ذلك الجهل بأهداف التربية والتعليم، والذي يؤسف له اننا عند تقييمنا لأهداف التربية والتعليم لا نأخذ الخصائص الفردية للاطفال بنظر الاعتبار، ونصرف اهتمامنا الى ما يحصل التلميذ عليه من درجة، وعلى ضوئها نحكم على الطفل، في حال أن أحد خصائص هذه المرحلة ـ من الناحية النفسية ـ المؤثرة في تكامل الطفل وتربيته هو شعور الاطفال بالثقة بأنفسهم وكرامتهم، والمدرسة هي المنطلق في تقوية اساس هذه الخصال، اذاً لابد من تربية الشعور بالكرامة وعزة النفس فيهم، ولابد ان يجد الاطفال ذلك في انفسهم، لأن الشعور بالكرامة والشخصية خير سندٍ للطفل من الناحية النفسية لحياته في المستقبل.

نتائج التقييم للسلوك

لابد ان يكون التعامل مع الطفل في البيت والمدرسة بعد التقييم بنحوٍ يشعر فيه الطفل بكفاءته، بأن يحيى في نفسه الشعور بالكرامة والشخصية وعزة النفس، فالطفل مثلاً عندما يقوم بأداء واجباته المدرسية على افضل وجهٍ لابد أن يعامله ابواه والمعلمين معاملةً يشعر من خلالها بكفاءته ومنزلته لديهم،

وأن ما قام به مهم في نظرهم، فيشعر بالنجاح فيما قام به، وهذا الشعور باعث على ابتهاجه وسروره، ويكون سبباً في الاستمرار في أداء واجباته وباعثاً على رغبته في الدراسة.

ولكن من المؤسف أن معاملة الكثير من الآبـاء والمـدارس والطـبقات المثقّفة للطفل والشاب بنحوٍ يشعران فيه بالعجز وحقارة النفس وعدم الكفاءة، فان تعاملهم على ضوء ما يأخذ الطفل من درجات في الامـتحان يـقوي فـي الطفل الشعور بالعجز والضيعة، فإن التلميذ لو أخذ درجة سبعين من مائة مثلاً ترى عائلته تتعامل معه بشكلٍ وكأنه قد ارتكب ذنباً، ومن ثم يأخذون بقياسه مع غيره من الاطفال، ويكيلون له التوبيخ والتعبير كيلاً، لمـاذا لم تـقدر عـلى كسب درجة مائة مثل فلان فيكون حبهم له واهتمامهم بـه مشـروطاً بكسـبه درجة المائة في الامتحان.

فالتلميذ الذي يأخذ درجةً اقل من مائة لا يرى في نفسه خيراً، ويـنعدم لديه شعور الثقة بالنفس تماماً، لانه لا يتمكن من تحقيق آمال أبويه.

فعندما يقيس أبواه به غيره من التلاميذ فيقولون له مثلاً: كن مثل فلان، حينئذٍ بكلامهم هذا يضعفون فيه قواه وطاقته، ولو أفرطوا فـي القـول له: انك ضعيف، حينئذ لا يرى في نفسه قدرةً، ويثبت له عجزه، إذ أن الأبوين بتصورهم يريدون إنقاذ طفلهم، غافلين عن أن مثل هذه التصرفات تعطيهم نتيجةً معاكسة، فإن قياس بعض الاطفال الى غيرهم امر مشكل لإمكان ان يكون ذلك سبباً في الحقد والعداء بين المقيس والمقيس اليه، لأن التلميذ يشعر بـفشله وحـقارته، وهذا يكون داعياً لعدم اهتمامه بوصايا ورغبات والديه أو معلميه، ويسلب منه الرغبة في الدراسة وفي اداء واجباته، ويحاول عن طريق عدم قيامه بواجباته

أن يجلب الأنظار اليه، ويتلافىٰ ذلك من أبويه، وليس ذلك بين التلاميذ بعزيز، لوجود نماذج كثيرة من هذا النوع.

ان معنىٰ شعور التلميذ بالحقارة هو: أني ضعيف، ويؤدي ذلك بالتدريج الى ان يكون جباناً وكسولاً في دروسه، فيحاول الهروب من الاجابة حتى عمّا يعرفه، واذا تكلّم يتكلّم بصوتٍ ضعيف، لشعوره بعدم كفاءته، فلا ينبغي قياسه بغيره أو التأكيد عى نقاط الضعف لديه، بل لابد من ذكر نقاط القوة الإيـجابية فيه، وتنبيهه على طاقاته الدفينة في وجوده، ليتكامل ويرغب في التقدم العلمي أكثر، انه لابد من تشويقه والوقوف الى جانبه ليرىٰ ان له وجوداً ويحاول رفع مشاكله بنفسه، اما لو قلنا له: انك ضعيف، فلا يرى لنفسه القـدرة بـل يكـون عاجزاً عن اداء واجباته اليومية.

الهدف من التقييم في بعض المدارس

مما يؤسف له ان بعض المدارس تعتبر الهدف من التقييم والامـتحانات هو غربلة التلاميذ وجعلهم على طبقات، وهدفهم من ذلك انـتخاب التـلاميذ المتفوقين وتشجيعهم لكونهم نماذج للتلاميذ الناجحين، هذا في الوقت الذي يكون فيه لسان حالهم وبشكلٍ لا إرادي تعريف سائر تلاميذ الصف بأنهم غير أكفّاء ولا يستحقوا شيئاً من التشجيع، مما يؤدي هذا السلوك الى سلب الثـقة بالنفس من أكثر التلاميذ، والى الشعور بعدم كفاءتهم، ويكون لهم تصوراً غـير صحيح عن أنفسهم، مما يؤدي ذلك الى عدم اهتمامهم بما لديهم من واجبات وعدم نشاطهم، ولذا نرى بعض التلاميذ وبعد انتهاء امـتحانات الفـصل الأول واعلان نتائجه تضعف رغباتهم في الدروس، هذا في حال ان الهدف من التقييم

هو زرع الرغبة في نفوس التلاميذ، ولكن هنا كانت النتيجة معاكسة.

ولذا لابد أن يُعلم أن ـ دور التربية والتعليم والهدف منهما ـ الذي لابد أن يشمل حال جميع التلاميذ صار وللأسف شاملاً لحال ثلّةٍ من التلاميذ خاصة، وبذلك ضاع حق الأغلبية الساحقة من التلاميذ.

لقد توصل علماء النفس في العصر الحاضر ـ عصر العلم والتقدم الصناعي ـ الى ان الاشخاص انما يتمكّنون من أن يكونوا مفيدين في المجتمع ويكون لهم دور فعّال، اذا كانوا متفاوتين في الابداع والكفاءة والمعرفة والطاقات، ورقي المجتمع وتعاليه مرتبط الى حدٍّ ما بصرف الهمم والطاقات والمعارف المختلفة في المجالات المختلفة التي يحتاجها المجتمع.

ان نظام التربية والتعليم الاسلامي هو النظام الذي يعطي الشعور بالمسؤولية للجميع، والهدف منه تربية وتعليم جميع افراد المجتمع، لا جماعةً خاصةً أو فرداً معيّناً، والمجتمع الصالح هو المجتمع الذي يشعر بالمسؤولية عن آحاد افراده الذين هم تحت رعايته التعليمية.

أن من واجب وزارة التربية والتعليم تمهيد ارضية تكامل طاقات وإبداعات التلاميذ بكل ما لديهم من قوةٍ وإستعداد، ليتمكّنوا من اداء مسؤوليتهم كجنود أوفياء من اجل تحقيق اهداف الثورة الاسلامية، ومعلومٌ أن مثل هذا النظام التعليمي يعطي للامتحانات وتقييم التلاميذ رسالةً حقيقية اخرى.

الهدف من التربية والتعليم

ان الهدف من التربية والتعليم هو ايجاد تغييرٍ مناسبٍ في القوة العاقلة للتلاميذ الغرض منه تغيير سلوكهم، بمعنى ان التلميذ وبعد الانتهاء من المرحلة

التعليمية والدراسية لابد أن ينعكس ما تعلّمه على سلوكه انعكاساً ايجابياً واضحاً، بأن يكون هناك فرقاً بين سلوك التلميذ الذي انتهى من دراسة كتابٍ خاص او مواد مدرسية خاصة وبين سلوك التلميذ الذي لم يشرع في ذلك، حينئذٍ نكون قد حققنا الهدف من التقييم.

تعريف التقييم

وهو عبارة عن المتابعة المستمرة والمنظّمة لسلوك التلاميذ، وتهذيب التغييرات المنعكسة على سلوكهم، وترغيبهم في نيل الاهداف التربوية والتعليمية، وارشادهم لنيل العلم والمعرفة بالدراسة.

وكما يظهر من التعريف المذكور أن التقييم من اللوازم الهامة التي لا تنفك عن التربية والتعليم، خصوصاً لما يطرحه المعلم من مواد دراسية في الصف، وبناءً على ذلك فليس التقييم مجرد وسيلةٍ تستخدم عند الانتهاء من المراحل الدراسية، او من أجل عزل التلاميذ المتفوقين، بل لابد أن يكون التقييم مرافقاً وبشكلٍ مستمرٍ للتربية والتعليم في مختلف الظروف والمجالات، باغتنام اشتياق التلميذ وجهوده في جهة كسب العلم والمعرفة اكثر.

وليس الهدف من التقييم قياس التلاميذ بعضهم ببعض، أوعزل المتفوقين منهم، أو تعييرهم، لأن القياس بين التلاميذ انما يكون صحيحاً اذا كانت ظروف جميع التلاميذ من الناحية الفيزيولوجية والنفسية واحدة، وايضاً ظروفهم واحدة من الناحية العائلية، ومن الجهة الغذائية والصحيّة كذلك، وهكذا هم سواء من ناحية الفطنة والذكاء والطاقات، مضافاً الى استعمال مناهج صحيحة في التقييم لهم، فإنه في مثل هذه الظروف يكون التقييم للوضع الدراسي مثمراً،

فإنه لا يساعد التلميذ فقط في تحقيق الاهداف الدراسية، بل يكون عوناً للمعلم ايضاً في تحقيق ذلك، وفي تحسين المنهج الدراسي وتغيير مجراه، ويرفع النواقص بالمتابعة المستمرة بالتقييم، وايضاً بالمنهج الصحيح للتقييم يمكن ايجاد الرغبة في التلميذ ليتمكن بنفسه من تعيين نقاط القوة والضعف فيه، فيحاول رفع السلبية منها بجدٍ وحزمٍ مشهودين.

وفيما يلي نتعرض لآثار ونتائج التقييم للوضع الدراسي على سلوك كلٍ من التلميذ، الأبوين، والمعلم:

آثار التقييم على سلوك التلميذ

١ ـ معرفته لنقاط القوة والضعف في نفسه، وايجاد الرغبة فيه من اجل كسب المعرفة وبذل الجهد اكثر.

٢ ـ معرفته للأهداف الدراسة، بنحوٍ يتمكن من معرفة ذلك من خلال يُطرح عليه من اسئلة في الامتحان.

٣ ـ زرع الرغبة لديه في المطالعة، وجعلها عادةً صحيحةً فيه.

٤ ـ تعلّمه لأهم المطالب الدراسية.

آثار التقييم على سلوك الأبوين

١ ـ معرفتهم لقدرة وطاقات طفلهم، وجعل آمالهم بمستوى قابلية الطفل وبالحد المعقول.

٢ ـ تقوية نقاط القوة الايجابية فيه، وزرع الرغبة في نفسه.

٣ ـ تمهيد ارضية تكامل التلميذ وتقدّمه علميّاً.

آثار التقييم على سلوك المعلم

١ ـ يعطي التقييم معياراً بيد المعلم ليمارس التدريس على ضوئه في المراحل الدراسية اللاحقة بنحوٍ أفضل، حيث أن المعلم ما لم يطمئن بأن التلميذ قد هضم المطالب جيداً لا يتمكن من تدريس المطالب الدراسية اللّاحقة.

٢ ـ يعتبر التقييم عاملاً مساعداً لتعلّم التلميذ، فإن كانت نتيجة التقييم تشير الى أن القسم الأعظم من الاسئلة الامتحانية كانت صعبة، أو ان اكثر التلاميذ لم يتمكنوا من الاجابة الصحيحة عنها، حينئذٍ يكون لتكرار واعادة تدريس المواد السابقة ضرورةً ملحّة.

٣ ـ يعتبر ايضاً عاملاً في إصلاح المناهج المتّبعة في التدريس، فإنه بالتقييم يثبت صلاحية ونجاح المناهج المتبعة في التعليم او عدم نجاحها، وذلك يعطي المعلم فرصة تجديد النظر في المنهج المتبع لإصلاحه وتهذيبه.

٤ ـ يعتبر التقييم عاملاً وسبباً في تعريف اهداف التدريس فان المعلم يتمكن بالتقييم الصحيح ان يزرع في نفوس آحاد التلاميذ بذرة القدرة على رفع تخلفاتهم ونواقصهم بأنفسهم، وان يُوجد فيهم المنهج الصحيح للمطالعة وكسب المعارف، وبذلك يكون للتلميذ رغبة اكثر في طلب العلم.

انه ومن أجل ان يكون التقييم للامتحان صحيحاً ودقيقاً، لابد من أخذ جميع ما هو دخيل ومؤثر في التقييم، لكونه أشبه ما يكون بالحكم على شخصية التلميذ، فلابد أن يكون الحكم دقيقاً وعادلاً، ولابد أن تكون نتيجة ذلك الحكم في صالح تحقيق الأهداف التربوية، وتكون عاملاً مؤثراً في تكامل التلميذ، وان تُقرّبنا أكثر نحو تحقيق أهداف التربية والتعليم. ولابد أن لا تتنافىٰ

نتيجة التقييم مع كرامة التلميذ وعزة نفسه، ولا توجب في الوقت نفسه تهاونه وعدم رغبته، أو تسبب له الغرور المفرط.

ان نتيجة التقييم لابد أن تمهّد الظروف التي تساعد التلميذ على بذل الجهد أكثر نحو التقدم الدراسي والترغيب فيه، فإنه كلما كانت معلوماتنا عن التلميذ أكثر كانت نتيجة التقييم والحكم أكثر صحةً واعتماداً.

ان التقييم نوع من الحكم تُعرف به خصائص شخصية التلميذ الايجابية والسلبية، ومن اجل ان يكون الحكم في التقييم دقيقاً وصحيحاً لابد من توفر جملة من الامور: منهج التدريس، موضوع الدرس، حجم ومقدار الدرس، الاسئلة المطروحة والمكررة في الدرس، مستوى الدقة في طرح الاسئلة، المعلومات المسبقة للتلميذ، مدى مراعاة الضوابط العلمية في طرح الاسئلة، إعطاء التلميذ فرصة للتعلم، ظروفه النفسية، عمر التلميذ وطاقاته وفطنته، الظروف العائلية، كيفية علاقات الوالدين مع بعضهم.

بناءً على جميع ما تقدم، لا يمكن ان تكون درجة الامتحان الشاخص الوحيد للتقييم والحكم الصحيح فيما يتعلق بتقدم التلميذ الدراسي، وسلوكه وبذل جهده، ولذا فإنه لابد من تقدير جهود التلميذ ذاته، ولكن لا من أجل كسب درجة المائة.

ومن هنا فانه لابد من طريق حلٍ لتخرّصات بعض الآباء عند مشاهدتهم للدرجة الامتحانية، وللتصور السائد في مجتمعنا عن درجة المائة؟ ولابد من طريقٍ يضمن تحقيق اهداف التقييم، التي منها زرع الرغبة في نفوس التلاميذ.

فالذي نأمله من المدارس الاهتمام بتحقيق أهداف التقييم بدقة، مع اخذ جميع ما ذكرنا بنظر الاعتبار، وتقييم مستوى التلميذ بما يلي: ممتاز، جيدجداً،

جيد، يحتاج الى جهدٍ أكبر، لكي تُحفظ كرامة وشخصية التلميذ في البيئتين البيت والمدرسة، ويحاول أيضاً بعد التعرّف على نقاط القوة فيه تقوية نقاط الضعف التي تحتاج الى بذل جهد اكبر، وبذلك يمكن الحدّ من التصوّر الخاطىء في خصوص بعض التلاميذ.

وبهذا المنهج يكون الاهتمام بنقاط القوة الايجابية وتقدير فعل التلميذ الجيد، داعياً ومشوّقاً لرفع نقائص وقبائح فعله.

هذا ولابد من الالتفات الى أن كل تقييمٍ لا يخلو من خطأ، غاية الأمر لابد من اختيار منهجٍ يكون احتمال الخطأ فيه اقل، فإنه باستعمال المنهج المذكور اخيراً للتقييم الذي أثبتت التجربة صحته، يمكن الوقوف أمام شعور التلميذ بالتحقير والألم والتهاون في الدراسة بعد أن يأخذ نتيجة الامتحان.

ولذا لابد من تجديد النظر في المناهج المتبعة للتقيم، وفي نتائجها، وفي كيفية الحكم، لتكون أهداف التربية والتعليم والتقييم كلها في جهة تكامل الطاقات، كرامة واستقلال التلاميذ، وإيجاد شعور الثقة بالنفس لديهم.

ولابدّ من هداية وارشاد جيل المستقبل لهذه البلاد نحو الارتقاء العلمي والاخلاقي، والوقوف أما الشذوذ في سلوكهم وتهاونهم في الدراسة.

باسمه تعالى

ليس للانسان إلّا ما سعىٰ

تقرير التقييم الفصلي

الاسم الثلاثي:................ اللقب:......... العام الدراسي:...........

ت	المواد الدراسية	ممتاز	جيدجداً	جيد	بحاجةٍ الى بذل جهد اكبر
١	القرآن الكريم				
٢	الدين				
٣	الانشاء				
٤	الاملاء				
٥	القراءة				
٦	التاريخ				
٧	الجغرافيا				
٨	الرياضيات				
٩	العلوم والاحياء				
١٠	الرسم والفن				
١١	الرياضة				
١٢	السلوك الفردي في الاعمال				
١٣	روح التعاون الاجتماعي				
١٤	الالتزام الاخلاقي				
١٥	تعاون الوالدين				

١٦	الغيبة لعذر موجّه		الغيبة لعذر غير موجّه	

رأي ولي الامر ....

....التوقيع

فهرس الموضوعات

الموضوع *الصفحة*